الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية : العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم : التاريخ

الرقم التسلسلي.....

رقم التسجيل.....

الصراع الزياني المريني وأثره على عمران مدينة تلمسان (647-962هـ/1249-1554م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر أكاديمي LMD تخصص: الغرب الإسلامي في القرون الوسطى

إعداد الطالب: دوقة عبد الرزاق

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة	الصفة
		محمد بوضياف المسيلة	رئيساً
طارق بن زاوي	أستاذ محاضر –أ–	محمد بوضياف المسيلة	مشرفا ومقررا
		محمد بوضياف المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2021-2022م

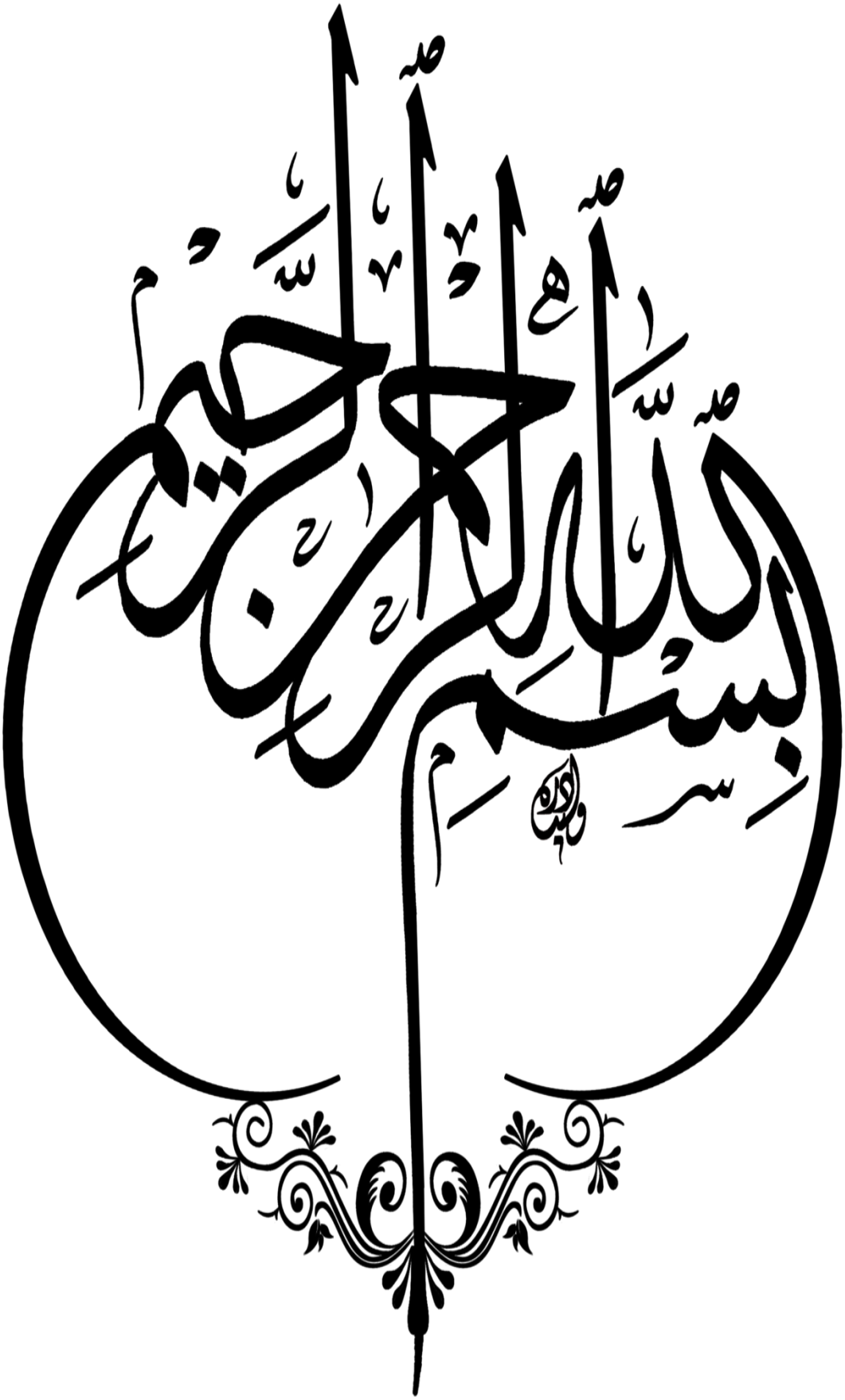
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى صاحب السيرة العطرة والكلمة الطيبة أبي الغالي رحمه الله وأسكنه فسيح جناته

وإلى من بسمتها غايتي وما تحت أقدامها جنتي أمي الغالية حفظها الله تعالى وأطال في عمرها.

إلى إخواني وأخواتي حفظهم الله تعالى ورعاهم.

إلى من ساندني وسلرا معي في خطواتي ويسرا لي الصعاب صديقاي سفلري عباس وميمون بلقاسم- دريسي مروان — دوغة البشير - حفضهم الله.

وإلى كل من كان لهم الفضل في أن أصل إلى ما أنا عليه.

شكر وعرفان

أولا وقبل كل شيء أحمد الله عزّ وجل وأشكره على عظيم نعمته وأسأله من فضله العظيم أن يكون عونًا لي على طاعته ومحبته ومرضاته، أما بعد:

أتوجه بالشكر الجزيل والامتنان العظيم إلى أستاذي الدكتور بن زلوي طارق الذي تفضّل بقبول الإشراف على هذه الرسالة ورعايته لها بتوجيهاته وإرشاداته من مرحلة اختيار هذا البحث إلى أن أصبح واقعا ملموسا، أسأل الله عزّ وجل أن يجعله في ميزان حسناته.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتوجه بالشكر كذلك إلى أعضاء اللجنة الموقرة كل باسمه –مع احترام المقامات والرتب العلمية–، على تحملهم عناء قراءة هذه المذكرة وتصويبها، فلكم مني عاطر الثناء وجميل الذكر.

وكل التحية والشكر والتقدير إلى كل من ساهم في المساعدة على إتمام هذا البحث وأخص بالذكر صديقي الأستاذ سفاري عباس وجميع أساتذة قسم التاريخ بجامعة المسيلة.

قائمة المختصرات

الرمز	الكلمة
ط	طبعة
د.ط	دون طبعة
د.د	دون دار النشر
د.ت	دون تاريخ النشر
هـ	هجري
م	ميلادي
ج	جزء
مج	مجلد
تح	تحقيق
تر	ترجمة

مقدمة

عرف المغرب الإسلامي ما بعد الدولة الموحدية تجاذبات سياسية بين الدويلات الثلاث التي قامت على أنقاض ملك الموحدين، حيث اعتبرت كل دولة نفسها وريثا شرعياً واتخذت من الحروب سبيلا في بسط السيطرة على سائر بلاد المغرب الإسلامي؛ غير أنّ هذا التوسع اللامشروط لدويلة على حساب الأخرى عرقله ولاء القبائل العربية والبربرية المنتشرة في ربوع المغرب الإسلامي، والتي كانت تنحاز إلى تغليب مصالحها الخاصة على حساب تنافس السلاطين الحفصيين والزيانيين ومثلهم المرينيين، فكان ولاءهم متقلباً تقلب أحوال البلاد كلها.

ونظراً للأهمية الجغرافية والاقتصادية للمغرب الأوسط فقد كان محل أطماع الجارتين الشرقية والغربية في ضم أراضيه واكتساح مجالاته بحكم توسطه للحواضر التجارية الكبرى شرقا وغرباً، شمالاً وجنوباً؛ حيث كان بمثابة همزة الوصل بين الجهات الأربعة، الأمر الذي جعل حدوده الجغرافية تتمدد وتتقلص حسب قوة الدولة وضعفها.

وضمن هذا السياق المضطرب لأحوال المغرب الإسلامي يندرج موضوع بحثنا الموسوم بـ"**الصراع الزياني المريني وأثره على عمران مدينة تلمسان**"، والذي يستمد أهميته من كونه موضوعاً ذو قيمة تاريخية لا زال يطرح نفسه وبقوة عند كل مناسبة تخص الحدود الجغرافية بين الجزائر والمغرب الأقصى؛ فضلا عن كونه موضوعاً ذو حمولة وازنة من الصراعات الداخلية والتنافس الخارجي على أرض المغرب الأوسط، شكلت في معظمها صفحات مشرقة في تاريخ الدولة الزيانية، كما رسمت صورة باهتة في مواقف مغايرة.

ولفهم الصراع ومجرياته كان لزاما علينا مساءلة النصوص الإخبارية بإثارة إشكالية حول طبيعة العلاقات الزيانية المرينية أو بعبارة أدق كيف كانت العلاقات بين الدولتين الجارتين؟ وقد تفرعت عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات نذكر منها: كيف استقل بنو زيان عن الموحدين بملك المغرب الأوسط؟ وما هي أسباب اختراق بني مرين لمجالات الموحدين وتأسيس دولتهم؟ كيف تربى العداء بين بني العمومة مشكلا صراعاً داميا استمر لثلاثة قرون متوالية؟ وما هي أهم المحطات التاريخية في الصراع الزياني المريني؟ وكيف كان أثره على عمران مدينة تلمسان؟ وغيرها من الأسئلة التي نروم الإجابة عنها في خضّم جزئيات هذه الدراسة.

ويهدف هذا البحث بطبيعة الحال إلى الكشف عن واقع التجاذبات السياسية للمغرب الإسلامي في ظل الصراع الزياني المريني بالأخص، كما يتطلع إلى إظهار تأثير التاريخ الحدثي على الجانب العمراني لتلمسان الزيانية.

ويعزى سبب اختيارنا لهذا الموضوع الرغبة في استجلاء الحقائق التاريخية من مضانها الأصلية فيما يتعلق بالعلاقات الزيانية المرينية، التي نعيش تبعاتها ليومنا هذا؛ بالإضافة إلى اهتمامنا بالتاريخ السياسي للمغرب

الإسلامي عموماً؛ ولعل ما شدّ انتباهي لهذا الموضوع هو التحامل الحفصي المريني على بلاد المغرب الأوسط ومحاولة طمس معالمه من الوجود بقوة السيف.

ولقد أبانت قراءتنا الأولية حول هذا الموضوع اهتمام بعض الدارسين بشقه الأول (الصراع العسكري) إما في شكل مؤلفات مستقلة كدراسة عبد العزيز فيلالي "تلمسان في العهد الزياني" والذي يعتبر مرجعاً أساسا لكل باحث في تاريخ الدولة الزيانية لاحتوائه على كم هائل من المعلومات المستقاة من أمهات المصادر الحدثية؛ غير أنّ ما يؤخذ على هذا الكتاب أنّ صاحبه لم يعط كبير بال للحدث السياسي والعسكري في تشكل معالم الدولة الزيانية بقدر اهتمامه بتشكل المعالم الحضارية الأخرى لتلمسان.

وهناك دراسة أخرى تقدمت بها الباحثة بكاي هوارية بعنوان "العلاقات الزيانية المرينية سياسياً وثقافياً" اهتمت فيها بإبراز طبيعة العلاقات من خلال معالجة ثنائية القطيعة السياسية والوصل الثقافي، وقد أفادتنا هذه الدراسة في الفصل الثالث عند معالجتنا لجزئية التعمير التي ساهم بها بنو مرين في كل مناسبة احتلوا فيها تلمسان.

وهناك أبحاث أخرى كثيرة تناولت الموضوع من زوايا مختلفة حسب وجهة نظر كل باحث، فمنهم من ركّز على السلاطين وجهودهم في الحفاظ على سلمية العلاقات، ومنهم من آثر الخوض في جمالية معمار تلمسان وغيرهم اختار فترة وجيزة من قوة الدولة الزيانية لتكون موضوع بحثه، وكما هو الحال لا يسعنا المقام للخوض في كل تلك التفاصيل وشرحها، بحكم أننا جمعنا وجهات النظر وقرّبناها ثمّ رجحنا الأنسب منها لبحثنا هذا.

ويقوم هذا البحث الذي نحن بصدد معالجته على منهجية فرضتها طبيعة الموضوع، فهو يندرج تحت مسمى التاريخ السياسي وبالتالي فإنّ أنسب منهج لدراسته هو المنهج التاريخي الذي يركن إلى استرداد المعلومات من مصادرها الأولية، وعرضها في سياق كرونولوجي موحد يحترم التراتب التاريخي للأحداث والوقائع.

وللتفصيل في إشكالية الموضوع بدقة عمدنا إلى تبني خطة بحثية مكونة من مقدمة ومدخل وثلاثة فصول، فأما المدخل **أوضاع الغرب الإسلامي قبيل سقوط الدولة الموحدية** كان عبارة عن حوصلة لما آل إليه الغرب الإسلامي إثر هزيمة الدولة الموحدية في معركة العقاب وبداية التقهقر وتراجع ميزان القوى بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي.

وخصصنا الفصل الأول الذي حمل عنوان **التاريخ السياسي للدولتين الزيانية والمرينية** للحديث عن بدايات تشكل الكيانين السياسيين في بلاد المغرب الإسلامي، وتعرضنا في المبحث الأول لأصول الزيانيين ونشأة دولتهم، وعالجنا أطوار ملكها ثمّ ضعفها وسقوطها.

أما المبحث الثاني تطرقنا فيه إلى انتهاء نسب بني مرين وانبعاث ملكهم بالمغرب الأقصى بعد اختراقهم لمجالات الدولة الموحدية، وذكرنا توسعاتهم وقوة ملكهم وكيف ضعفت دولتهم وسقطت على يد الوطاسيين.

وفي الفصل الثاني المعنون **بالصراع الزياني المريني من المواجهة إلى المهادنة** تطرقنا فيه إلى أسباب الصراع وبداياته وركزنا فقط على الحدث الرئيس في بدايات الصراع، لأنّه الأكثر وضوحاً في المصادر الإخبارية دون سواه من الأسباب المخفية والتي فسرها كثير من الباحثين وفق ميولاتهم وقناعاتهم المعرفية.

وكان المبحث الثاني مخصصاً لمعالجة كرونولوجيا الصراع أو تاريخ المواجهات العسكرية، والذي التزمنا فيه بالتراتب التاريخي للحروب بين الزيانيين والمرينيين بغض النظر عن التركيز على جهود السلاطين كما عالجته أغلب الدراسات التي اطلعنا عليها، حيث ركزنا في بحثنا على إبراز المعارك وتواريخ وقوعها ليتكون لدى القارئ شيء من تنظيم الأحداث دون التشتت بين الضعف والقوة بالنسبة للدولة الزيانية خاصة.

وأما المبحث الثالث عالجنا فيه السلم المؤقت بين بني زيان وبني مرين على مدار سنوات الصراع الطويلة، واتضح لنا أنّ فترات الهدنة كانت قصيرة نوعا ما في الغالب، كما أنّ عددها محدود جدا مقارنة بعمر الدولتين.

وفي الفصل الثالث الذي حمل عنوان **أثر الصراع على عمران مدينة تلمسان بحث في ثنائية الخراب والتعمير**، عالجنا في مبحثه الأول العمارة المدنية وكيف ساهمت الحرب في تعميرها أو خرابها.

ثم انتقلنا للمبحث الثاني لنتطرق فيه إلى العمارة الدينية وأثبتنا بالنصوص التاريخية مشاركة بني مرين في تعمير المساجد وبناء المدارس تخليدا لقوتهم العسكرية في المنطقة.

وفي المبحث الأخير تناولنا العمارة العسكرية وتحصينات كل من مدينة تلمسان ومدينة المنصورة من خلال بناء الأسوار والقلاع وكذا الأبواب؛ وكل ما له صلة بتأمين الحواضر في تلك الفترة.

وأنهينا بحثنا هذا بخاتمة كانت عبارة عن حوصلة لنتائج الإشكالية بتساؤلاتها الفرعية المطروحة، ثمّ أردفناها بقائمة المصادر والمراجع وأنهينا الدراسة بفهرس محتويات الموضوع.

وقد واجهتنا صعوبة كبيرة في ضبط خطة البحث نظرا لتشعب أسس الموضوع وتداخل جزئياته، ونعتقد أنّ ما اعتمدناه من خطة هو أهم المحطات التاريخية في تاريخ العلاقات الزيانية المرينية وفق ما أملته علينا المادة المعرفية المنبثّة في المصادر التاريخية.

ولتحليل جزئيات الخطة كان لنا اطلاع على عدة مصادر ومراجع، والتي أفادتنا كثيرا في الإحاطة بمختلف جوانب الموضوع، وسنركز فقط على المصادر الأولية التي أثرت الموضوع من جوانبه المتعددة:

- **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي (كان حيا 712هـ/1312م)،** بدأه منذ الفتح الإسلامي إلى النصف الثاني من القرن السابع الهجري (ق13م)، وتكمن أهمية الكتاب في اعتماد صاحبه على مصادر مفقودة تهم الدراسة لا يمكن الاطلاع عليها إلا من خلال مراجعته، وقد أفاد مجلده الثالث بالأخص في ذكر أوضاع الغرب الإسلامي قبيل سقوط الدولة الموحدية وما خلّفته تبعات هزيمة معركة العقاب على المنطقة برمتّها.

- **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لصاحبه عبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ/1406م)** يتضمن هذا الكتاب معلومات مهمة عن دويلات المغرب الإسلامي خاصة في جزئيه السادس والسابع حيث تعرض لوقائع الصراع باعتباره شاهد عيان على الماجريات من حوله.

- **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية لعلي بن أبي زرع الفاسي (ت 728هـ/1328م)،** كتاب يؤرخ للدولة المرينية وعلاقاتها بالدولة الزيانية، حيث جاء ملما بالأخبار السياسية والعلمية وكذا بعض المعلومات عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

قسّم المؤلف كتابه إلى عشرة أبواب بداية بذكر نسبهم ثمّ خلفائهم الواحد تلو الآخر، وتكمن أهمية الكتاب في كونه اعتنى بتاريخ العلاقات بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى مع الكثير من التفصيل والشرح، وقد أفاد البحث في كرونولوجيا الصراع وأثر ذلك على عمران مدينة تلمسان.

وإلى جانب هذه المصادر الإخبارية كانت إفادة المصادر الجغرافية في التعريف ببعض الأماكن الواردة في متن الدراسة، وغيرها من المصادر؛ ويضاف إلى ذلك بعض المراجع المهمة والقريبة جدا من طبيعة الموضوع معالجة ودراسة وهي كلها مثبتة في آخر هذا البحث.

ولا يخلو أي بحث من صعوبات منهجية ومعرفية تؤرق الباحث، فعلى الصعيد المعرفي يجد الباحث نفسه تائها وسط تراكم الحدث التاريخي وعدم وضوح معالمه في كثير من الأحيان خاصة عند تدخل القبائل العربية تحقيقا لمصالحها في التواجد بالمنطقة الوسطى للمغرب الإسلامي وعدم ثبوت ولائها لأي طرف؛ وأما من الناحية المنهجية ورغم ترابط الأحداث وتشابكها حاولنا قدر المستطاع الفصل بين أولويات المعالجة.

وفي الأخير لا يسعني إلا ترديد مقولة العالم الجليل القاضي **عبد الرحيم البيساني**: "إنّي رأيت أنّه لا يكتب أحد كتاباً إلا قال في غده لو غُيِّرَ هذا لكان أحسن، ولو قدُّم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، ودليل على استيلاء النقص على جملة البشر".

مدخل

سعى الموحدون منذ تأسيس دولتهم سنة524هـ/ 1129م إلى إقامة نظام إداري مركزي ذو قوة سياسية وعسكرية ضاربة في منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، حيث امتدت حدود دولتهم من برقة شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربًا ومن الأندلس شمالاً إلى الصحراء جنوبًا؛ كما خولت لهم تلك القوة الفاعلة من تنصيب أنفسهم حماة لبيضة الإسلام برد العدوان الصليبي على بيت المقدس، وكذا التصدي لحركة الاسترداد الإسباني على المدن الإسلامية بالأندلس[1].

غير أنّ مطلع القرن السابع الهجري (13م) شهد تحولاً في المشهد السياسي إثر توالي الأزمات التي قوضت ملك الموحدين وأنذرت بزواله، بسبب هزيمة الجيش الموحدي في معركة حصن العقاب بالأندلس سنة 609هـ/1212م[2] تلك الهزيمة التي كرّست التفوق السياسي والعسكري للنصارى على حساب الموحدين وكسرت شوكتهم، إضافة إلى تظافر عوامل أخرى أسهمت في انتشار الفوضى وتراجع هيبة الدولة ومن ثَمَّ تفككها إلى كيانات سياسية متجاورة ومتضادة في الآن ذاته، كما سنوضحه فيما يلي:

أما على الصعيد الداخلي فقد كان الصراع على السلطة داخل البيت الموحدي على أشدّه خاصة بعد تولية خلفاء قُصَّرٌ لم يبلغوا الحلم بعد، ما جعلهم ضحية المؤامرات والدسائس التي أودت بحياة بعضهم[3]، فيم انغمس من نجا منهم في الملذات وحياة الترف كحال الخليفة محمد الناصر [4]، ثمّ إنّ حيادهم عن مبادئ الدعوة الموحدية بتوريث الحكم كرّس العداوة واحتدم الصراع وغدا كرسي العرش عرضة لكل طامع في تولي السلطة[5]، وزاد من حدة الوضع تناسي الأشياخ دورهم الرئيس في الدولة كهيئة استشارية وتدخلهم غير المشروط في تعيين الخلفاء وتنحيتهم بناء على الولاءات والمصالح الشخصية الضيّقة[6].

---

[1] – ينظر: عبد الواحد المراكشي ، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، شرح واعتناء صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ/2006م، ص 278.

[2] – ابن عذاري، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح ومراجعة إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1983م، ج3، ص377-379

[3] – عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص404/ ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص 390.

[4] – هو محمد بن يعقوب بن يوسف الملقب بالناصر، حكم من (1199-1213م)، عصره لم يشهد إنجازات كبيرة بل أنّه انهزم جيشه في معركة حصن العقاب قرب بلنسية. عبد الواحد المراكشي، ص 254/ ابن عذارى المراكشي، المصدر نفسه، نفس الجزء، ص280,

[5] – عز الدين موسى، **دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي**، دار الشروق، (د،م)، ط1، 1983م، ص151.

[6] – ينظر في ذلك: ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص 390، 413/ ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص ص 240-243.

ولم يبق ذلك التنافس محصوراً في إطاره الضيّق بل خرج إلى العلن في شكل حروب ومعارك دامية، من ذلك على سبيل الاستدلال: خروج عبد الله بن يعقوب المنصور الملقب بالعادل بمدينة مرسية عن طاعة عمه الخليفة أبو محمد عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن (620-621هـ/ 1223-1224م)، ولم يتوقف عند هذا الحد بل نازعه لقب الخلافة حتى تمّ له الأمر ودانت له العدوتان بالسمع والطاعة وبويع خليفة سنة 621هـ/1224م[1]، وذات الأمر تكرر مع أخيه أبو العلى إدريس بن أبي يوسف يعقوب المنصور المقلب بالمأمون الذي دعا لنفسه بإشبيلية سنة 624هـ/1227م، وحارب ابن أخيه يحي بن الناصر على ملك الموحدين وهزمه في أكثر من مناسبة[2].

وأمام هذ النزاع السلطوي واضطراب البيت الموحدي، تغافل الخلفاء عن حماية حدود دولتهم المترامية الأطراف، الأمر الذي فتح مجال التمرد والعصيان على مصرعيه، حيث تمردت القبائل الهلالية في نواحي إفريقية وجنوب المغرب الأقصى، واستأثرت زناتة بتلمسان وضواحيها[3]؛ فيم تسابق حكام الأقاليم إلى الانتزاء والتحصن بمدنهم وإعلان الانفصال عن مراكش وكانت البداية من الأندلس حيث انتزى أبو زيد البياسي ببلنسية ودانية وشاطبة وجزيرة شُقر سنة 621هـ/ 1224م[4]، كما اقتطع أخوه عبد الله البياسي مدينة قرطبة سنة 623هـ/1226م، وخلع طاعة الموحدين بتحالفه مع النصارى الذين استولوا على عدة حصون منها: حصن باجة ولوشة[5].

وخرج بنو هود سنة 625هـ/1228م وبسطوا سيطرتهم على مدن شرق الأندلس (مرسية، شاطبة، دانية، جيان، مردة وبطليوس)، ودخلت تحت إمرتهم في سنة 626هـ/1229م قرطبة وإشبيلية، وبايعتهم غرناطة، مالقة والمرية واستأصلوا الموحدين وأجلوهم عن تلك المدن[6]، فضلا عن سيطرتهم على إفريقية وبلاد الجريد لما يناهز العشرين (20) سنة إلى أن هزمهم الموحدون في إحدى المعارك ونصّبوا بني حفص ولاة لهم سنة 602هـ/1205م

[1] - بن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص385.

[2] - ابن عذاري، المصدر نفسه، ص ص 390-391، 410، 420.

[3] - نفسه، ص351/ 364.

[4] - نفسه، ص 386.

[5] - نفسه، ص 387.

[6] - نفسه، ص 408- 409/ محمد الهادي القرقوطي، **جهاد الموحدين بالأندلس**، دار هومة، الجزائر، 2005م، ص ص 255-256.

حسب رواية ابن عذاري[1]؛ وتجدر الإشارة كذلك إلى استقلال بني الأحمر بالجنوب الأندلسي ابتداءً من سنة 629هـ/1232م بعد أن خلعوا طاعة بني هود[2] واستتّب لهم أمر البلاد هناك إلى غاية سقوط الأندلس.

وكان للثورات يد في الضعف الذي نخر أركان الدولة، وتعتبر ثورة بني غانية[3] من أشدّ الأزمات التي واجهت الموحدين حيث استنزفت خزينة الدولة لخمسة عقود متتالية، ناهيك عن ثورة أهل مرسية التي انطلقت شرارتها سنة 554هـ/1159م بقيادة محمد بن مردنيش[4] ودامت قرابة الربع قرن، وتسببت في ضياع عدة مدن شرق الأندلس وتراجع النفوذ الموحدي في المنطقة[5]، ناهيك عن الخسائر المادية والبشرية لكلا الطرفين[6].

وبطبيعة الحال استغل النصارى كل تلك الفوضى لصالحهم باسم "حركة الاسترداد" فنافحوا الموحدين تارة وتحالفوا مع المنتزين تارة، وناصبوهم العداء مرات أخرى حتى انتزعوا من بين أيديهم جميع المدن الأندلسية الواحدة تلو الأخرى، لينتهي النفوذ الموحدي على الأندلس مبكراً.

وأما في العدوة المغربية وبالجهة الشرقية تحديداً تمرد الحفصيون في إفريقية بقيادة شيخهم أبي محمد بن الشيخ بن أبي حفص بعد أن كانوا ولاة يحكمون باسم الموحدين، منتهزين فرصة تولي المستنصر(610-620هـ/1213-1223م) سدّة الحكم وهو لا زال صبيًا قاصراً[7]، حيث أعلنوا سنة 627هـ/1230م انفصالهم النهائي عن مراكش وخلع طاعة الموحدين وبايعوا أبي زكريا سلطاناً عليهم ودانت له إفريقية جميعًا[8]؛ كما تمرد في

---

[1] – ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص 410.

[2] – ابن عذاري، المصدر نفسه، نفس الجزء، ص ص 417-418، 427.

[3] – ينشبون إلى أمهم غانية من البيت المرابطي، حكموا جزر البليار شرق الأندلس وخلعوا طاعة الموحدين. ابن خلدون، العبر، ج6، ص314.

[4] – هو أبو عبد الله محمد بن سعد بن مردنيش (518-567هـ/1124-1172م) أمير أندلسي حكم شرق الأندلس بين سنتي 542-567هـ/1148-1172م وامتد سلطانه من أحواز طرطوشة شمالا إلى قرطاجنة ولورقة جنوبا. محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس (العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997م، ق1، ص367.

[5] – عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص ص171-173.

[6] – صديقي عبد الجبار، **سقوط الدولة الموحدية دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات**، مذكرة ماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، إشراف مكيوي محمد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2013-2014م، ص109

[7] – ابن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مر سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1421هـ/2000م، ج6، ص 373/ ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص412

[8] – ابن عذاري، المصدر نفسه، ص414.

ذات السنة والي سبتة ودعا لنفسه وبايعه أهلها[1]؛ وفي آخر أيامهم راهن الموحدون على ضمان ولاء القبائل العربية التي استبدّت بالجنوب المغربي وكانت تعمل من أجل ضمان مصالحها في المنطقة[2].

وفي أواخر سنة 630هـ/1233م انتزى ابن وقاريط بأحواز مراكش واستولى على على هزرجة وأغمات وريكة، وأعلن تحالفه مع يحي بن الناصر[3] المسلوب السلطة من قبل عمه كما سلف الذكر، غير أنّ هذه الحركة انتهت بالفشل الذريع مع بداية سنة 631هـ/1234م[4].

هذا وانتهج الموحدون في آخر أيامهم سياسة الكيل بمكيالين لحلفاء الأمس أعداء اليوم، ونقصد بذلك تآمرهم على مسعود بن حميدان الخُلَّطي الذي تقاعس عن تنفيذ أوامرهم بتصفية المنتزين، فانتهى به المطاف مقتولاً في الحاضرة مراكش على مأدبة عشاء أقيمت على شرفه[5]؛ ليتجدد بذلك الصراع مع ابن وقاريط حليف يحي بن الناصر وعرب الخلّط ليضيّقوا على مراكش وأهلها[6]، فاستنجد الخليفة الرشيد (629-640هـ/1232-1242م) بجند النصارى لكن الهزيمة كانت من نصيبهم فانسحبوا إلى سجلماسة[7]؛ ودخل يحي بن الناصر مراكش واحتوى سلطانها بمعية حلفائه سنة 632هـ/1235م[8]؛ ثمّ استعاد الموحدون ملكهم في السنة الموالية (633هـ/1236م) غير أنّ الصراع ما انتهى عند هذا الحد بل استمرت القبائل العربية في تمردها واستمر الموحدون في التصفية الجسدية لزعمائهم[9]، وفي سجن الرهائن ضماناً لبقاء لولائهم المشروط لفترة وجيزة[10]، وأهم ما قام به الخليفة الرشيد في فترة حكمه إجلاؤهم إلى بلاد السوس ضمانا للأمن في المناطق التي كانت تحت سيطرته[11].

---

[1] – ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، 415.

[2] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص367/ ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص389.

[3] – ابن عذاري، المصدر نفسه، نفس الجزء، ص428.

[4] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص342.

[5] – ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص ص433-440.

[6] – ابن عذاري، المصدر نفسه، نفس الجزء، ص444.

[7] – ابن عذاري، المصدر نفسه، ص 451.

[8] – نفسه، ص 455.

[9] – نفسه، ص 465- 466.

[10] – نفسه، ص477- 478.

[11] – نفسه، ص492.

كما تمردت بلاد السوس الأقصى سنة 636هـ/1238م تحت زعامة رجل يدعى ابن ياوجي وانضمت إلى ثورته قبائل المعقل العربية غير أنّ ثورتهم وئدت في مهدها[1]، وفي 638هـ/1240م أزعج عرب المعقل جهة مكناسة وأرغموا أهله دفع المال لهم مقابل انسحابهم[2]

وفي سنة 640هـ/1242م أقدم والي سبتة أبو يعلى بن خلاص البلنسي على مبايعة الحفصيين وخلع طاعة الموحدين[3]، وكذلك فعل والي سجلماسة عبد الله بن زكريا الهزرجي الذي استقوى بالعرب المرّحلين هناك ودخل في خدمة الحفصيين[4].

هذا فضلا عن نشوب حروب متكررة مع بني مرين[5] الذين سطع نجمهم سنة 613هـ/1216م إثر هجومهم على مدينة فاس وتغلبهم على أهلها[6]، ليعيدوا الكرة سنة 620هـ/1223م ويتغلبوا على الموحدين[7]، واستجدت الحرب معهم سنة 637هـ/1239م أفضت إلى مقتل قائدهم أبو سعيد عثمان بن عبد الحق[8]، لكنهم استدركوا ذلك في معركة وقعت قرب مكناسة أين ظفر المرينيين بالموحدين ودارت عليهم الدائرة وأوقعوا بهم الهزيمة[9]، وتكررت الهزيمة في عهد السّعيد سنة 643هـ/1245م[10]، وفي سنة 647هـ/1249م دخل بنو مرين مدينة فاس منتصرين بعد حصار دام سنة كاملة[11] .

أما على الصعيد الاجتماعي فقد تراجع المستوى المعيشي وارتفعت الأسعار وحدثت مجاعة سنة 607هـ/1210م[12]، وفي سنة 616هـ/1219م حلت المجاعة بالمغرب وارتفعت الأسعار[13]، وفي سنة 617هـ/

---

[1] – ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص ص478-479.

[2] – ابن عذاري، المصدر نفسه، نفس الجزء، ص490

[3] – نفسه، ص493.

[4] – نفسه، ص 493، 496.

[5] – ينظر في بداياتهم الفصل الثاني من هذا البحث.

[6] – ابن عذاري، المصدر نفسه، ص381.

[7] – نفسه، ص384.

[8] – نفسه، ص486.

[9] – نفسه، ص ص487-488.

[10] – نفسه، ص 504 وما بعدها.

[11] – نفسه، ص ص531.

[12] – نفسه، ص ص372-373.

[13] – نفسه، ص 381.

1220م اشتدّ الحال بالأندلس وارتفع سعر المواد الاستهلاكية[1]، وضرب زلزال سنة 651هـ/1253م بلاد الغرب[2].

وإثر حصار العرب الخلط لمراكش في عهد الرشيد سنة 632هـ/1235م "عدمت الأقوات البتة، وكاد النّاس يأكل بعضهم بعضا"، وارتفعت الأسعار وهلك خلق كثير في هذه الأزمة[3]. فضلاً عن تراجع اقتصاد الدولة الموحدية التي سعت بعد انقضاء الحرب مع العرب إلى إحياء نظام الجباية من أجل دفع مستحقات الجند وإعادة تأهيل بيت المال[4]، وللقارئ أن يتصور حجم المعاناة التي طالت الرعية والحيف الذي حلّ بها وهي لم تتعافَ بعدُ من آثار الصراع العسكري.

نزول الوباء بمراكش سنة 635هـ/1237م الذي قتل خلقا كثيرا[5]، وتلته سنة 637هـ/1239م مجاعة حلّت بمدينة سبتة وسمي ذاك العام بـ"عام سبعة" لانعدام الطعام والغلاء المفرط، الأمر الذي استدعى انتشار اللصوصية في أوساط عرب رياح الذين عاثوا فسادا في مكناسة وجهة فاس إلى أن تصدت لهم زناتة وأوقفت ضررهم بالبلاد والعباد[6].

كانت الفترة الممتدة ما بين الدولة المأمونية والدولة الرشيدية فترة كثرت فيها الفتن والثورات وصراع الموحدين على الحكم وانشغالهم عن تسيير أمور الرعية، فكانت تلك الحروب كفيلة بأن تعم المجاعة بالنّاس حسب شهادة ابن عذاري[7].

ومن خلال ما سبق ذكره نستنتج أنّ كل تلك الأسباب والعوامل مجتمعة كانت شاهدة على سقوط الدولة الموحدية، ودخول الغرب الإسلامي مرحلة ما قبل الدولة المرابطية جراء كثرة الحروب والصراعات حول ما يصطلح عليه بـ"الشرعية في الخلافة"، وهو موضوع بحثنا الذي سنطرقه فيما هو قابل من الفصول.

---

[1] – ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص 382

[2] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، 348.

[3] – ابن عذاري، المصدر السابق، نفس الجزء، ص 445، 452-453.

[4] – ابن عذاري، المصدر نفسه، ص 461.

[5] – نفسه، ص476.

[6] – نفسه، ص483.

[7] – نفسه، ص483.

الفصل الأول:

التاريخ السياسي للدولتين الزيانية والمرينية

أولاً– الزيانيون: بحث في أصول النشأة وتأسيس الدولة

1- الأصل والنسب
2- تأسيس الدولة ومجالها الجغرافي
3- أطوار الملك:
   أ- طور النشأة والتوسع
   ب- طور تجديد الملك
   ج- طور الضعف وانهيار الدولة

ثانياً– المرينيون: ماهية النسب وانبعاث الملك

1- الأصل والنسب
2- اختراق المجال الموحدي وتأسيس الدولة
3- التوسع الجغرافي
4- الضعف والسقوط

إنّ البحث في تاريخ الصراع الزياني المريني يستوجب من الباحث الرجوع إلى بداية تأسيس الدولتين، والوقوف عند كبرى المحطات التاريخية التي شكلت فارقا في العلاقات بينهما تاركة سجالا لا يزال قائما لوقتنا الحاضر حول الانتماء الجغرافي لمجالات النفوذ في العهود السالفة.

أولًا- الزيانيون: بحث في أصول النشأة وتأسيس الدولة

1- الأصل والنسب:

ينتهي نسب بنو زيان إلى قبيلة زناتة البربرية[1]، وهم من أهل الطبقة الثانية على اعتبار تقسيم ابن خلدون لشعوب زناتة وبطونها [2]؛ عرفوا ببني عبد الواد تغليبًا -على حد تعبير يحي بن خلدون- إذ الأصل عابد الوادي كنية عن جدهم الذي كان كثير التعبّد في إحدى الأودية[3].

وهم من ولد سجيح بن واسين بن يصلتين بن مسرى بن زاكيا بن ورسيج بن مادغيس الأبتر الذي ينسب إليه البربر البتر، وينقسم قبيل بني عبد الواد إلى بطون عديدة ذكر ابن خلدون منها ستة (6) وهم: بنو ياتكين، بنو واللّو، بنو تومرت، بنو ورسطف، بنو نصوحة، وبنو القاسم[4]، هذا البطن الأخير كان فيه مستقر الدولة الزيانية "لشدّة شوكتهم واعتزاز عصبيتهم" فضلاً عن كثرتهم[5].

ولما كان الشرف بالأنساب ذا شأن عظيم، حاكى النسابة البربرُ العربَ في ذلك ورفعوا نسب بني زيان إلى إدريس الأكبر[6]، وقد شكّك ابن خلدون في صحة هذا النسب لاعتبارين الأول منهما: غياب السند الذي يثبت شجرة النسب الشريف، والاعتبار الثاني: البداوة النائية عن الاضطلاع بالأنساب ومعرفتها[7]، ويجعل محل الشاهد

---

[1] – يحي بن خلدون، **بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد**، تحقيق عبد الحميد حاجيات، دار الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م، ج1، ص89.

[2] – ابن خلدون، **العبر**، ج7، ص78.

[3] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص95/ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص82.

[4] – ابن خلدون، المصدر نفسه، نفس الجزء، ص97.

[5] – نفسه، ص ص97-98.

[6] – هو إدريس بن عبد الله الهاشمي القرشي بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (127-177هـ/743-793م)، أول من دخل المغرب من الطالبيين، أسس سنة 172هـ الدولة الإدريسية. أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، مكتبة المثنى، بغداد، (د،ط)، 1968م، ج1، ص315.

[7] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص97

هنا رد الفعل الذي بدر من السلطان يغمراسن بن زيان[1] حين رُفع له شرف نسبهم قائلاً: "إن كان هذا صحيحاً فينفعنا عند الله، وأمّا الدنيا فإنما نلناها بسيوفنا"[2].

غير أنّ أخاه يحي بن خلدون خالفه الرأي واعتبر الزيانيين وأجدادهم من بني القاسم شرفاء النسب وأنّهم "من ولد إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب"[3]؛ وقد أيّده التنسي في مذهبه قائلاً: "والقاسم جد أمير المؤمنين اتفق النساب على أنّه من ولد عبد الله الكامل...ولكن اختلفوا في طريق اتصاله به"[4].

ويبقى الاختلاف وارداً في كل الأحوال حيث أنّ الخوض في مسألة النسب الشريف من عدمه بالنسبة للزيانيين حديث ذو شجون فالظرفية التاريخية التي أطّرته تحتاج بحثاً مستقلاً بذاته، إذا علمنا أنّ الموضوع أخذ أبعاداً متطورة بلغت نقاشات حادة ما بين فقهاء المغرب الأوسط خاصة فيم يتعلق بالشرف من قبل الأم[5].

2- تأسيس الدولة ومجالها الجغرافي:

كان قبيل بني عبد الواد يعيش حياة الترحال والانتجاع بحثاً عن الكلأ والمرعى، وامتدت جغرافية تحركهم من سجلماسة إلى منطقة الزاب، غير أنّ تركيزهم كان على المغرب الأوسط تحديداً حيث استوطنوا مدينة تلمسان وضواحيها؛ ومع بداية التوسع الموحدي نحو المغرب الأوسط أوائل القرن السادس الهجري/12م أدرك بنو عبد الواد ألاّ قبل لهم بمجابهتهم فارتأوا الدخول تحت رايتهم وأخلصوا لهم الخدمة[6].

وفي أثناء توسع الموحدين نحو الشرق تصاعدت وتيرة الوقائع العسكرية واصطدموا ببني مرين في معركة منداس سنة 539هـ/1145م وأوقعوا بهم الهزيمة وأجلوهم إلى الصحراء، غير أنّ المرينيين لم يفوتوا الأمر بسهولة بل انتهزوا الفرصة وهاجموا قافلة الغنائم التي أرسلها عبد المؤمن بن علي إلى مدينة تينملل قاعدة ملك الموحدين

---

[1] – هو إغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد مؤسس الدولة الزيانية، حكم من (633- 681هـ/1236-1283م). يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص225 وما بعدها.

[2] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص97.

[3] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص211.

[4] – التنسي، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، تحقيق محمود بوعياد، دار موفم للنشر، الجزائر، 2011م، ص110.

[5] – ينظر: الونشريسي، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، أخرجه جماعة من الفقهاء، إشراف محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1401هـ/1981م، ج12 ، ص226.

[6] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 76.

بالمغرب الأقصى وظفروا بها، الأمر الذي دفع بعبد المؤمن بن علي إلى الاستنجاد بحلفائه بني عبد الواد الذين خرجوا بالفعل لاسترجاع الغنائم المسلوبة وقتلوا زعيم بني مرين[1].

ولهذا السبب بالذات كافئ الموحدون جهود بني عبد الواد الذين أثبتوا لهم الولاء فعلاً بأن أقطعوهم أحواز تلمسان وما يليها من بلاد بني ومانو[2] وبلاد يلومي ناحية الشلف[3]؛ ومن هنا توثقت العلاقة بين الطرفين إلى أن صار أمر الموحدين إلى الفُرقة والضعف أين استغل كل والٍ وحاكم إقليم فوضى الملك لإعلان الانفصال عن مراكش.

أما عن البداية الرسمية لوصول بني عبد الواد إلى زعامة المغرب الأوسط والتفرد بحكمه فقد كان مبدؤها تصديهم للهجمات التوسعية لبني غانية في المنطقة[4]، فضلاً عن أنّ الخليفة الموحدي أبو العلاء إدريس المأمون[5] عيّن شقيقه أبا سعيد عثمان والياً على تلمسان سنة 624هـ/1227م وقد كان سيء السيرة ضعيف التدبير الأمر الذي شجع مساعده الحسن بن حيون على إدارة شؤون المدينة، وقد كان هذا الأخير على علاقة متوترة مع بني عبد الواد المنافسين له في الشأن ذاته[6].

وقد بلغ الصراع حدّ اعتقال مشايخ بني عبد الواد فتوسط لهم شيخ اللمتونيين إبراهيم بن إسماعيل بن علان الصنهاجي لكن شفاعته رفضت من قبل الوالي أبا سعيد، فثار ضدّه واعتقله وقتل مساعده الحسن بن حيون، كما أطلق سراح زعماء بني عبد الواد، وخلع طاعة الموحدين طمعاً في إحياء الدولة المرابطية، لكن قبيل بني عبد الواد حالوا دون تحقيق غايته، فخطّط لتصفيتهم جسديًا بإقامة وليمة دعا لها كبار مشايخهم، وعلى رأسهم الشيخ جابر بن يوسف الذي تفطّن لما يحاك ضدّهم فتوقفوا خارج المدينة ينتظرون قدوم إبراهيم بن إسماعيل لاستقبالهم، وفي

[1] – يحي بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص 212.

[2] – من أوفر بطون زناتة، موطنهم المغرب الأوسط إلى جهة المشرق من وادي ميناس في منداس ومراث وما إليها إلى الشلف. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص66/ ج7، ص98.

[3] – ابن الأحمر، **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تح هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1421هـ/2001م، ص10/ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص100.

[4] – ابن خلدون، المصدر نفسه، نفس الجزء، ص ص99-100.

[5] – هو إدريس بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، يكنى أبو العلاء ولقبه المأمون، بويع بالخلافة سنة 627هـ/1226م إلى غاية سنة 630هـ/ 1232م. ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص327.

[6] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص 214

تلك الأثناء اعتقلوه هو من معه ودخلوا تلمسان وجددوا ولاءهم للموحدين فعهد لهم الخليفة المأمون على ولاية تلمسان وما يليها من بلاد زناتة سنة 627هـ/1229م[1].

أقام جابر بن يوسف على شؤون تلمسان وضمّ إليه جميع بطون بني عبد الواد كخطوة أولية نحو تأسيس ملكهم وتوسيع نفوذهم، ثمّ قصد ندرومة طالباً ولاءهم غير أنّهم رفضوا الدخول في طاعته فضرب حصاراً عليهم باء بالفشل بعد مقتله بسهم يوسف الغفاري التلمساني، فخلفه ابنه الحسن لكنه سرعان ما تخلى عن الحكم لصالح عمه عثمان بن يوسف الذي أساء السيرة وغاب عنه حسن التدبير فعزله قومه سنة 631هـ/1233م، وبايعوا أبو عزة زيدان بن زيان الذي أقام مدة ثلاث سنوات إلى أن ناصبه العداء بنو راشد[2] وبنو مطهر[3] وقتلوه سنة 633هـ/1235م؛ ليتولى أمر القبيل بعده أخاه يغمراسن بن زيان الذي كان "من أشدّ النّاس بأساً وأعظمهم في النفوس مهابة وجلالاً وأعرفهم بمصالح قبيله وأقواهم كاهلاً على حمل الملك واضطلاعاً بالتدبير والرياسة"[4].

وبعد تولي يغمراسن شأن قومه بادر إلى إخضاع القبائل المناوئة له وأحسن سياسة النّاس وتدبير الأمور، وعمل على تشكيل جيش نظامي واستحدث جهازاً إدارياً لضبط أمور الرعية، ولبس شارة الملك والسلطان ولم يبق للخليفة الموحدي سوى التبعية الاسمية والدعاء على المنابر[5].

3- أطوار الملك:

مرت الدولة الزيانية على مدار ثلاثة قرون بأطوار ثلاث –إن صح لنا تقسيمها- شهدت فيها سجالات واستحقاقات وكذا إخفاقات ثمّ تقهقر ومن بعده ضعف ونهاية ملك، كما سنوضحه فيما يلي:

أ- طور النشأة والتوسع: شغل هذا الطور حيزاً زمنياً امتد من سنة 633- 737هـ/1235-1337م، شهدت فيه تلمسان تشكل المعالم الأولية للدولة بعد الانفصال الإداري عن مراكش، واجتهاد يغمراسن بن زيان في إثبات ذاته بإخضاع المناوئين له من القبائل العربية والبربرية[6]، ومن ثمّ شرع في سياسته التوسعية فضمّ وهران

---

[1] – التنسي، المصدر السابق، ص117 / يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص215 / عبد الحميد حاجيات، **أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د،ط)، 1982م، ص12.

[2] – هم بطن من قبيلة زناتة ومن أبناء عمومة بني عبد الواد. ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 100.

[3] – هم بنو مطهر بن يمل بن يزكين بطن من بطون بني القاسم. ابن خلدون، المصدر نفسه، نفس الجزء، ص98.

[4] – ابن خلدون، المصدر نفسه، ص106.

[5] – نفسه، ص 106.

[6] – نفسه، ص108- 109.

وسجلماسة سنة 662هـ/1263م، ومدينة مليانة[1] سنة 668هـ/1268م، ومدينة تنس سنة 681هـ/1282م[2]، وكلّها مدن لها أهميتها في التجارة البحرية أو تجارة القوافل الصحراوية.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه المرحلة الفتية من عمر الدولة الزيانية عرفت مضايقات من قبل الجارة الشرقية أي الدولة الحفصية التي كما ذكرنا سابقاً استقلت عن مراكش مبكراً وعمل سلاطينها على توسيع مجال نفوذهم وتضييق الخناق على الزيانيين بغزوهم تلمسان سنة 639هـ/1242م فما كان من يغمراسن سوى تقديم فروض الطاعة والولاء وتوقيع معاهدة معهم في سنة 640هـ/1243م[3].

وبعد وفاة يغمراسن بن زيان خلفه ابنه السلطان عثمان (681-693هـ/1282-1294م) الذي واصل في سياسة والده التوسعية فأخضع مدن الونشريس[4] والمدية[5] سنة 688هـ/1289م، ومدينة برشك[6] سنة 693هـ/1294م، كما عمل على إخضاع قبيلتي مغراوة[7] وبني توجين[8]. وحاول الزيانيون في هذه الفترة التوسع شرقاً وضمّ بجاية سنة 686هـ/ 1287م على حساب حدود الدولة الحفصية لكن محاولتهم باءت بالفشل[9].

وجدير بالذكر أيضاً أنّ عثمان بن يغمراسن ألغى التبعية الاسمية للدولة الموحدية وأعلن الانفصال رسمياً سنة 640هـ/1243م ودعا لنفسه سلطاناً[10].

---

[1] – مدينة قديمة بناها الرومان، جددها زيري ابن مناد وأسكن فيها ابنه بلقين، تقع على سفح جبل تحيط بها الأشجار . البكري، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د،ت)، ص61.

[2] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص107.

[3] – ابن خلدون، المصدر نفسه، نفس الجزء، ص109/ ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص 494- 496.

[4] – جبل يقع جنوب مليانة، وينتهي طرفه إلى قرب تاهرت سكنه قبائل من البربر منها: مكناسة، وأوربة، ومطماطة. الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1989م، ص85.

[5] –مدينة بناها الأفارقة في تخوم نوميديا على بعد نحو 80 ميلاً من البحر المتوسط، تقع في سهل خصيب، كان الرومان يسمونها لامباديا باسم قبيلة المدية الصنهاجية. الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1983، ج2، ص41.

[6] – مدينة صغيرة على ضفة البحر افتتحها الملك روجار سنة 105هـ/ 661م. الإدريسي، المصدر السابق، ص88.

[7] – إحدى بطون زناتة ينتسبون إلى مغراو بن يصلتين بن مسر بن زاكيا بن ورسيك الديرت بن جانا إخوة بني يرنيان، أما بطونهم وشعوبهم فهي كثيرة مثل: بني يليث وبني زنداك؛ كانت مجالاتهم بالمغرب الأوسط من شلف إلى تلمشان إلى جبل مديونة. ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص33-38.

[8] – يعود نسب بني توجين إلى قبيلة زناتة استوطنوا ضواحي جبل وانشريس وكانت لهم تمردات كثيرة ضد السلطة الزيانية. أبي رأس الناصري، **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، تح محمد غالم، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، (د،ت)، ج2، ص15/ عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية وعمرانية واجتماعية وثقافية)**، المؤسسة الوطنية للفنون الطبيعية، الجزائر، (د،ط)، 2002م، ج1، ص26.

[9] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص241.

[10] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص115.

وشهد هذا الطور من عمر الدولة كذلك الضغط من قبل المرينيين الذين ضربوا حصاراً على مدينة تلمسان في أكثر من مرة منها: حصار سنة 689هـ/1290م دام ثلاثة (3) أشهر، وحصارات أخرى متفرقة ما بين سِنِيّ 694هـ/1295م و698هـ/1299م، ليعقبها الحصار الطويل الذي دام ثماني(8) سنوات من سنة 698-706هـ/1298-1307م[1]؛ وسنتطرق لكل ذلك فيما هو قادم من الفصول.

بعد تعافي تلمسان من تبعات الحصار الطويل أعادت بسط نفوذها على مجالات توسعها السابقة وأخضعت القبائل المنشقة عن طاعتها كقبيلة بني توجين سنة 710هـ/1310م ومدينة جزائر بني مزغنة سنة 712هـ/1312م[2]، وفي هذه المرحلة أيضاً امتدّ نفوذ بني زيان شرقاً نحو قسنطينة وبجاية ومدينة بونة وذلك في عهد السلطان أبي تاشفين[3] الذي زحف بجيشه إلى تونس ودخلها أياماً ثمّ أناب عنها بعد أن وجد نفسه محاصراً من قبل القوات الحفصية في الشرق والجيش المريني من جهة الغرب، هذا الصراع على مناطق النفوذ تمخّض عنه سقوط تلمسان حاضرة ملك الزيانيين في يد بني مرين سنة 737هـ/1336م وكذا مقتل السلطان أبي تاشفين وبعض من أفراد عائلته[4] لينمحي إثر ذلك رسم الدولة الزيانية لفترة مؤقتة.

ب- طور تجديد الملك (749- 791هـ/1348-1389م): ونقصد به إعادة إحياء الدولة بعد أن استقرت في يد المرينيين لمدة تقارب الاثني عشرة (12) سنة، وكانت هزيمة السلطان المريني أبي الحسن في معركة القيروان سنة 749هـ/1348م[5] بمثابة الحافز القوي لبعض أفراد البيت الزياني من أجل توحيد صفوفهم وإعادة بعث ملك أجدادهم بتلمسان، إذ سعى الأخوين "أبو ثابت" و"أبو سعيد" في تأليب القبائل البربرية والعربية ضد المرينيين خدمة لهدفهم غير أنّ محاولاتهم باءت بالفشل الذريع الذي أسفر عن مقتلهما سنة 753هـ/1352م [6].

---

[1] – يحي بن خلدون، المصدرالسابق، ج1، ص 209/ ابن سماك العاملي، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تح عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص177/ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص94

[2] – التنسي، المصدر السابق، ص136.

[3] – هو عبد الرحمن بن أبي حمو موسى الأول الملقب بأبي تاشفين، يعتبر من أقوى سلاطين بني زيان بعد جده يغمراسن، تولى العرش بعد أن اغتال والده أبي حمو سنة 718هـ/ 1318م، تمكن في عهده من قمع ثورات داخلية ومجابهة المنشقين عن طاعته، عرف عهده ازدهارا اقتصاديا واجتماعيا، كما أقدم على حركة عمرانية واسعة في تلمسان حيث شيّد القصور والأسوار وغيرها من الأمور، وقتل سنة 738هـ/1337م. ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 139 وما بعدها/ حساني مختار، **تاريخ الدولة الزيانية- الأحوال السياسية**، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009م، ص9.

[4] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص213-214.

[5] – ابن خلدون، العبر، ج7، ص153.

[6] – التنسي، المصدر السابق، ص 152.

وفي خضّم تلك الأحداث فرّ ابن أخيهما " أبي حمو موسى"[1] قاصداً السلطان الحفصي أبي إسحاق بن أبي يحي بن أبي زكريا (750-770هـ/1350-1369م) واحتمى بملكه مشتغلاً بتنظيم صفوفه إلى أن انتهز فرصة خروج السلطان المريني أبي عنان[2] غازياً إفريقية سنة 758هـ/1357م، فخرج هو الآخر قاصداً تلمسان متحدياً كل الصعوبات التي واجهته في الطريق من المناوئين والمخالفين حتى ظفر بها ودخلها باعثاً رسمها سنة 760هـ/1359م.

وبعد استرجاع الزيانيين سيادتهم على تلمسان شهد المغرب الأوسط نشاطاً عسكرياً مكثّفاً كان موجها بالخصوص لإخضاع المناوئين من القبائل العربية والبربرية من جهة، وكذا إعادة بسط النفوذ والسيادة على المدن التي وقعت تحت سيطرة الحفصيين أو المرينيين من جهة أخرى[3].

هذا؛ ولم يستسغ بنو مرين إحياء بني عمومتهم الزيانيين ملك أجدادهم بالمغرب الأوسط فحاولوا مرات كثيرة انتزاع تلمسان منهم وكان سلاحهم الدائم هو الحصار وتطويق المدينة[4]، ولأن موضوع البحث قائم على مدارسة هذا الصراع سنترك تفاصيله لما هو قابل من الفصول.

ج- طور الضعف وانهيار الدولة (791-962هـ/1390-1554م): رغم أنّ هذه المرحلة تعتبر من أطول أطوار الدولة عمراً إلاّ أنّها كانت أقل تأثيراً وأكثر ضعفاً، حيث شهدت تنافساً حاداً على السلطة ما بين أبي تاشفين وأخيه أبي زيان؛ وقد كان للمرينيين يد في تأجيج صراع الإخوة خدمة لمصالحهم الرامية إلى ضم تلمسان تحت ملكهم، ونجحوا في اللعب على وتر الولاء والدعم لأبي تاشفين تارة ولأخيه أبي زيان تارة أخرى[5].

ومع بداية سنة 827هـ/1424م شهد الغرب الإسلامي هيمنة الحفصيين بقيادة أبي فارس عبد العزيز بن أحمد (796-837هـ/1394-1433م) الذي خُطب له على منابر تلمسان وفاس وغرناطة[6]، وبدأ التدخل

---

[1] – هو أبو حمو موسى بن أبي يعقوب يوسف بن عبد الرحمن بن يحي بن يغمراسن بن زيان، يلقب بأبي حمو موسى الثاني، ولد في مدينة غرناطة سنة 723هـ/ ونشأ بتلمسان، ثم رحل إلى فاس سنة 737هـ/ إثر سقوط ملكهم، وبعدها شدّ الحال إلى تونس سنة 753هـ/ وأقام بها إلى أن راودته فكرة إحياء مجد أسلافه. يحي بن خلدون، ج1، ص 286.

[2] – هو فارس بن أبي الحسن الملقب بأبي عنان تولى الخلافة في غياب والده نحو جهة تونس سنة 749هـ/1348م، شهد عهده استقرارا داخليا نسبيا في البيت المريني، لذا قدّم مجهودات عسكرية توسعية خارج حدود المغرب الأقصى إلى غاية وفاته سنة759هـ/1358م. الناصري، **الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى**، تح وتع جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، 1997م، ج3، ص118.

[3] – التنسي، المصدر السابق، ص118.

[4] – ابن الأحمر، **روضة النسرين في دولة بني مرين**، تح عبد الوهاب بن منصور، مطبوعات القصر الملكي، الرباط، المغرب، 1382هـ/1962م، ص56.

[5] – التنسي، المصدر السابق، ص ص210-211.

[6] – الزركشي، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تح وتع محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966م، ج2، ص ص125-130.

الحفصي في شؤون مدينة تلمسان بتعيين محمد بن أبي تاشفين المعروف بابن الحمراء على رأس الإمارة الزيانية، ثمّ عمه أبي محمد عبد الواحد، وبعدهما أبي العباس العاقل.

والجدير بالذكر أنّ هذه الفترة تزامنت مع سقوط مدينة غرناطة آخر معاقل المسلمين بالأندلس سنة 897هـ/1492م، ما أسفر عن بداية التحرشات الإسبانية بسواحل المغرب الأوسط فضلاً عن تدخلهم في شؤون الحكم بالبلاد إلى غاية مجيء الإخوة بربروس الذين ألحقوا تلمسان بالحكم العثماني وأعلنوا نهاية الدولة الزيانية سنة 962هـ/1552م بعد حكم دام أكثر من ثلاثة (3) قرون[1].

وخلاصة لما سبق ذكره نستنتج أنّ المغرب الأوسط كان مسرحاً لصراع السلطة والنفوذ ما بعد الموحدين، حتى غدت حدوده مطاطية خاضعة لمنطق القوة العسكرية والولاءات المستحكمة من طرف القبائل العربية والبربرية على حد سواء للجارتين الشرقية (الحفصيين) والغربية (المرينيين)؛ وكل ذلك ساهم بشكل مباشر في تكريس حالة اللااستقرار وزعزعة ملك الزيانيين واندراسه.

[1] – أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792م)**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، (د،ط)، 2010م، ص329.

ثانيا- المرينيون: ماهية النسب وانبعاث الملك

1- الأصل والنسب:

يرجع نسب بني مرين إلى قبيلة زناتة البربرية، وهم من ولد ورتاجن بن ماخوخ بن جديج بن فاتن بن يدر بن يخفت بن عبد الله بن ورتنيص بن المعز بن إبراهيم بن سجيك بن واسين بن يصليتن بن مسرى بن زاكيا بن وسيد بن زانات بن جانا بن يحي بن تمزيت بن ضريس بن رجيح بن مادغيس الأبتر من ولد قيس عيلان بن عدنان[1].

والمتفحص لسلسلة النسب هذه يتّضح له أنّ النسابة البربر رفعوا أصل بني مرين إلى العرب المضرية لما في النسب الصريح من رمزية اجتماعية كبيرة جدا في تلك الفترة وسابقاتها؛ وقد أوردت المصادر المغربية آراء متباينة حول طريق العرب إلى بلاد المغرب لا سبيل إلى معالجتها في هذا المقام[2]، غير أنّ ابن خلدون كما ذكرنا سابقاً تحفظ عن نسب بني عمومتهم الزيانيين لاعتبار غياب شجرة النسب وكذا ضلوعهم في حياة البداوة النائية عن معرفتهم التامة بصراحة نسبهم من عدمه[3]، وذات الأمر نراه ينطبق على بني مرين بما أنّهم جميعاً (المرينيين والزيانيين) يلتقون في جدهم واسين.

2- اختراق المجال الموحدي وتأسيس الدولة:

كان بنو مرين يعيشون حياة البدو والقفر وينتجعون المنطقة الممتدة من فكيك إلى سجلماسة وملوية وصولاً إلى منطقة الزاب بالمغرب الأوسط[4]؛ وكانوا يدخلون المغرب الأقصى في فصل الصيف يرعوا أغنامهم ويكتالون ميرتهم ثمّ يرحلون أواسط فصل الخريف إلى الصحراء موطنهم[5].

والجدير بالذكر أنّ قبيلة بني مرين تضم أسرتين كبيرتين هما: بنو عسكر وبنو حمامة، استفرد بنو عسكر برئاسة القبيلة بادئ أمرهم تحت قيادة الأعذر بن العافية الملقب بالمخضّب الذي قاد قومه إلى انتصارات كبرى

---

[1] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص221/ ابن الأحمر، **روضة النسرين**، ص 14.

[2] – ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص279-280/ ابن الأحمر، المصدر السابق، ص9.

[3] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص97.

[4] – ابن خلدون، المصدر نفسه، نفس الجزء، ص 221/ ابن الأحمر، المصدر السابق، ص25.

[5] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص221/ ابن الأحمر، المصدر السابق، ص26.

على المرابطين والحماديين تمّلك بموجبها بلاد الزاب وجميع بوادي زناتة، فضلاً عن تلمسان والقلعة وبجاية؛ ولم يكن أمام المرابطين والحماديين من بُدٍّ سوى مهادنته طلباً للسلم[1].

بعد تغلب الموحدين على بلاد المغرب نازعوهم المناطق التي كانت تحت سيطرتهم فتضاربت المصالح، واستغل بنو مرين الفرصة وأغاروا على قافلة الغنائم التي كان قد أرسلها عبد المؤمن بن علي إلى تينملل موطن دعوتهم؛ ليستنجد هذا الأخير ببني عبد الواد لاستخلاص الغنائم وبالفعل التقى الجيشان المريني والزياني بفحص مسون[2] سنة 540هـ/1146م وانهزم بنو مرين وقتل قائدهم المخضّب[3].

وإثر مقتل زعيمهم تراجع بنو مرين إلى مضاربهم الأولى وانتقلت رئاسة القبيل إلى بني حمامة تحت إمرة أبي بكر ثمّ ابنه محيو الذي شهد عهده أحداثاً سياسية وعسكرية هامة اضطّر على إثرها ترك العداوة جانباً ومشاركة الموحدين في معاركهم بالأندلس، ودخل معهم معركة الأرك سنة 591هـ/1195م وانتصر فيها الموحدون، لكن القائد محيو أصيب بجروح بليغة أودت بحياته في ذات السنة[4].

تولى الرئاسة من بعد وفاته ابنه عبد الحق الذي انتقل بقومه إلى مرحلة مغايرة، أثبت فيها جدارةً وأحقيةً في بناء دولة مستقلة إثر معايشته لبوادر الضعف وتهاون الموحدين في تأمين الثغور لاسيما بالأندلس وما شهدته من حركة الاسترداد الإسباني، فضلاً عن قيام ثورات في مختلف ربوع بلاد المغرب الإسلامي ونشاط الحركات الانفصالية التي وضحنا تفاصيلها في المدخل التمهيدي من هذا البحث.

وعلى العموم استغل المرينيون فرصتهم في هذه المرحلة من التراجع الموحدي إثر هزيمة العقاب سنة 609هـ/1212م لبعث ملكهم وتأسيس دولة تحمل اسمهم وتخلّد ذكرهم؛ فارتحلوا من القفر وأطلقوا العنان لغاراتهم ونهبوا البسائط وأرجفوا الساكنة واكتسحوا مجالات الموحدين؛ ودارت بينهم معركة طاحنة سنة 613هـ/1216م كانت فيها الغلبة للمرينيين، الذين جردوا خصومهم من أسلحتهم وملابسهم فطفقوا يخصفون على عوراتهم من نبات يدعى المشغلة فسميت المعركة بمعركة المشغلة[5].

---

[1] – ابن الأحمر، **روضة النسرين**، ص 20.

[2] – منطقة منبسطة على ضفاف نهر ملوية. ابن الأحمر، المصدر نفسه، ص13.

[3] – ابن الأحمر، نفسه، ص21.

[4] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 222/ روضة النسرين، ص23.

[5] – ابن خلدون، المصدر السابق، ص ص224-225.

نجح بنو مرين في أول اختبار لهم كقوة ناشئة في ضرب الموحدين من داخل عمق مجالهم السلطوي، ليرد هؤلاء عليهم بإذكاء نار الفتنة على الزعامة ما بين بني عسكر وبني حمامة ودخول عرب رياح خط المواجهة العسكرية سنة 614هـ/1217م بين أبناء القبيلة الواحدة (بنو مرين) التي انتهت بمقتل زعيمهم عبد الحق وابنه الأكبر إدريس[1]؛ ثمّ خلفه ابنه الثاني أبو سعيد عثمان(614-637هـ/1217-1240م) في قيادة بني مرين وسعى للانتقام لمقتل والده وأخيه فزحف بجيشه إلى بني عسكر وحلفائهم عرب رياح وأثخن فيهم القتل والسلب وأرغمهم على دفع إتاوة سنوية[2].

بسط بنو مرين نفوذهم على جل مناطق المغرب الأقصى، كما فرضوا المغارم على القبائل التي دخلت في خدمتهم، واستطاع بذلك أبو سعيد عثمان بن عبد الحق من وضع كيان سياسي منافس للموحدين قبل وفاته سنة 637هـ/ 1232[3].

واصل أبو معرّف محمد بن عبد الحق (637-642هـ/1232-1244م) في سياسة التوسع وفرض الضرائب التي بدأها سابقوه على القبائل، فضلاً عن انتهاجه سبيلاً جديداً معاديا للموحدين والمتمثل في حماية المنشقين عن السلطة الرسمية بمراكش[4]، هذه الأخيرة لم تستسلم لمجريات الأحداث بل سعى الخليفة السعيد بن المأمون إلى تكثيف جهوده في وضع حد —ولو مؤقت- للتوغل المريني بالمغرب الأقصى، إذ أنّه استطاع هزيمة المرينيين عند أحواز مدينة فاس سنة 642هـ/1244م فانسحبوا إثر ذلك وللمرة الثانية بعد هزيمتهم الأولى إلى موطنهم الأصلي بالصحراء[5].

والجدير بالذكر أنّ بني مرين أعادوا توحيد صفوفهم وانطلقوا في إعادة بعث مشروع دولتهم تحت إمرة أبي يحي أبي بكر بن عبد الحق (642-656هـ/1244-1258) الذي أبدى حنكة وفطنة في إدارة شؤون القبيل،

---

[1] – ابن أبي زرع الفاسي، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، دار المنصور للطباعة، المغرب، 1972، (د،ط)، ص 33/ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص225.

[2] – ابن خلدون، المصدر نفسه، نفس الجزء، ص225.

[3] – ابن خلدون، نفسه، ص221، 226/ ابن الأحمر، **روضة**، ص26.

[4] – ابن الأحمر، المصدر نفسه، ص60.

[5] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص226-227/ ابن أبي زرع، **الذخيرة**، ص 62/ **الأنيس**، ص193.

وفضلاً عن ذلك أعلن خلعه لطاعة الموحدين بصفة رسمية واعترف بسلطة الحفصيين على إفريقية وتحالف معهم واستمر على ذلك طيلة حياته هو ومن جاء بعده من الأمراء[1].

استغل أبو بكر التقارب المريني- الحفصي وشرع في ضّم مدن المغرب الأقصى حيث بايعه أهل مكناسة 643هـ/1245م[2]، فتوجّس الموحدون منهم خيفة وحشدوا جيشاً ذا عدّة وعتاد لطردهم من البلاد خرج من مراكش سنة 645هـ/1247م غير أنّ المواجهة لم تتم بعد أن تخلى المرينيون عن المناطق التي ملكوها فارين إلى الشمال باتجاه منطقة تازا وبلاد الريف[3].

لم يُنْهِ الانسحاب الخطر المريني المحدق بالموحدين والمتربص بهم، بل قام أبوبكر المريني بتغيير استراتيجي جد هام تجاه الموحدين لتهدئة الوضع المتوتر وضماناً لبقاء مشروع الدولة، حيث أعلن ولاءه للخليفة السعيد الموحدي في حربه ضد يغمراسن بن زيان ولم يتردد في مدّ يد العون له بكتيبة من الفرسان[4]؛ وحين انهزم الجيش الموحدي أمام جيش بني عبد الواد 646هـ/1248م[5] رجع بنو مرين إلى تفعيل خطتهم الأولى حيث أغاروا على المدن التي انسحبوا منها سابقاً واسترجعوها، كما زحف أبو يوسف بن عبد الحق على رباط تازا واستولى عليها إلى جانب مدن أخرى غيرها، وجعلوا من مدينة فاس عاصمة ملكهم لفترة مؤقتة[6].

3- التوسع الجغرافي:

إثر اختراق المرينيين المجال الجغرافي للدولة الموحدية وسيطرتهم على شمال المغرب تقلّصت مناطق نفوذ الموحدين وانحصرت في الجنوب المغربي، ما دفع بالخليفة المرتضى (646-665هـ/1248-1266م) إلى استجماع قواه للذود عن ما تبقى له من بلاد فخرج لحرب بني مرين سنة 653هـ/1255م لكنه مني بالهزيمة[7]؛ ثّم

---

[1] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص216.

[2] – ابن أبي زرع، **الذخيرة**، ص ص66-67/

[3] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 228/ **الذخيرة**، ص70.

[4] – التنسي، المصدر السابق، ص70.

[5] – ابن أبي زرع، **الأنيس**، ص 293.

[6] – ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص 524/ ابن خلدون، المصد السابق، ج6، ص 230/ **الذخيرة**، ص ص72-73/ ابن الخطيب، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، در وتح محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2009م، ص46.

[7] – ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص ص535-537/ 543/ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص349.

تقدمت القوات المرينية باتجاه الجنوب واستولى أبو بكر بن عبد الحق على درعة وسجلماسة سنة 655هـ/ 1257م بعد أن نازعه على ملكها بنو زيان[1] كما سنوضحه لاحقاً.

والجدير بالذكر أنّ هذه المرحلة شهدت بسط المرينيين نفوذهم على المنطقة الممتدة من نهر ملوية وأم الربيع إلى سجلماسة وقصر كتامة في حين انحصر ملك الموحدين في مدينة مراكش[2].

خلّف وفاة أبي بكر بن عبد الحق نزاعاً أسرياً حول الأحقية في ولاية العهد ما بين الابن (عمر بن أبي بكر) والعم (يعقوب بن عبد الحق)[3]، ونظراً لعدم كفاءة عمر مالت الرعية إلى مبايعة عمه يعقوب بن عبد الحق الذي اضطلع بمهمة استكمال التوسعات التي بدأها شقيقه من قبل، فنهض إلى بلاد تامسنا واستولى عليها وملك مدينة أنفا[4]؛ ولم يطل انتظاره للقيام بالخطوة الحاسمة والتوجه نحو عاصمة الموحدين مراكش إذ تحرك نحوها سنة 660هـ/ 1261م في حين انتدب الخليفة المرتضى للقائه ابن عمه القائد أبي دبوس إدريس بن عبد المؤمن فدارت الحرب على ضفاف نهر أم الربيع كانت الغلبة فيها للمرينيين وسميت الواقعة بأم الرجلين[5].

ثّم نشبت نار الفتنة ما بين المرتضى وابن عمه أبي دبوس بسبب وشاية مفادها أنّ أبي دبوس يطلب الأمر لنفسه، ففر هذا الأخير إلى عرين بني مرين طلباً للحماية والمدد من أجل اقتحام مراكش مقابل إشراكهم في الملك، وبطبيعة الحال استغل الأمير يعقوب بن عبد الحق هذا الخلاف لصالحه واستجاب لطلب أبي دبوس وأمده بخمسة آلاف (5000) جندي وصل به أبواب مراكش سنة 665هـ/1267م فحاصرها وأمر أتباعه داخلها إلى الثورة ضد ابن عمه المرتضى، فتّم له الأمر ودخل المدينة منتصراً ودعا لنفسه وتلّقب بالواثق بالله[6].

بلغ يعقوب بن عبد الحق خبر استيلاء أبي دبوس على مدينة مراكش حاضرة ملك الموحدين، فأرسل إليه بالتهنئة وذكّره بالاتفاق المبرم بينهما داعيا إياه إلى الوفاء بالعهد، غير أنّ الواثق بالله استنكف لتلك الوعود وخاطب يعقوب مخاطبة الملوك لولاتهم في عجب وخيلاء[7]؛ الأمر الذي لم يستسغه الطرف المريني فأعدّ العدة وحشد الجنود وعبر وادي أم الربيع عازماً غزو مراكش سنة 666هـ/1268م، وفي طريقه إليها انتهج يعقوب بن

---

[1] –ابن أبي زرع، **الذخيرة**، ص83.

[2] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص230.

[3] – هو أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق مؤسس الدولة المرينية تولى زعامة قومه سنة 656هـ وتلقب بالمنصور، دخل مراكش سنة 668هـ وقضى على ملك الموحدين وتسمى بأمير المسلمين توفي سنة 685هـ/1286م. ابن الأحمر، **روضة النسرين**، ص20 وما بعدها.

[4] – السلاوي، المصدر السابق، ج3، ص23.

[5] – ابن أبي زرع، الذخيرة، ص ص95-96.

[6] – ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص109-111/ الأنيس، ص203.

[7] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص238/ الذخيرة، ص111.

عبد الحق المريني سياسة الأرض المحروقة فانتسف الزرع وخرّب العمران والضياع وعاث فساداً في القبائل الموالية للموحدين.

وفي مقابل ذلك تأكد لدى الواثق بالله القوة العسكرية لبني مرين وأن ليس باستطاعته مواجهتهم لوحده فاستنجد بيغمراسن بن زيان لمباغتة يعقوب وصرف نظره عن مراكش ولو مؤقتاً؛ وبالفعل انسحب بنو مرين لمواجهة يغمراسن قرب وادي تلاغ في جمادى الآخرة من سنة 666هـ/1268م انهزم على إثرها بنو عبد الواد هزيمة نكراء، وضعت حدا لأطماعهم في منافسة بني مرين على زعامة زناتة[1].

أمّا يعقوب بن عبد الحق فعاد إلى غزو مراكش بعد تأديبه لبني عبد الواد فخرج بجيشه من فاس في شعبان سنة 666هـ/1268م وانتهج خطة عمادها الانسحاب والتراجع التدريجي نحو الشمال وأن لا يصطدم بالموحدين دفعة واحدة بل في المكان والزمان الذي يناسبه هو، واستمر على هذا الحال إلى غاية سنة 668هـ/1269م حيث التقى الجيشان قرب وادي غفو ودارت بينهما معركة ضارية انهزم فيها الموحدون بعد مصرع قائدهم أبي دبوس ونهبت محلتهم[2].

ولما وصلت الأخبار إلى مراكش فرّت فلول الموحدين باتجاه تينملل، في حين سار إليها يعقوب بن عبد الحق منتصراً ودخلها في موكب حافل بايعه أهلها جميعاً سنة 668هـ/1269م ليطوى خبر الدولة الموحدية[3] ويبدأ المغرب فصلاً جديداً مع زعامة بني مرين.

بعد بلوغ بني مرين مرادهم من الإطاحة بالموحدين سعى يعقوب بن عبد الحق وخلفاؤه إلى بسط نفوذهم وسيطرتهم على المناطق الواقعة شرق المغرب الأقصى وشمالا باتجاه الأندلس[4]، وفي بعض أيام أبي الحسن المريني توحد المغرب الإسلامي تحت قيادته من السوس الأقصى إلى مسراتة، وذات الأمر تقريبا حدث مع خليفته أبي عنان لكن سرعان ما انتثر العقد وأخذ أمر الدولة في التراجع والتقهقر بعد الهزائم المتوالية للجيش المريني[5].

4- الضعف والسقوط:

إنّ من أهم العوامل التي ساهمت في سقوط الدولة المرينية كثرة الحروب واستمرارها لعقود متوالية مع بني زيان وكذا القبائل العربية والبربرية الأخرى على حد سواء؛ فضلاً عن الصراعات الأسرية حول الزعامة واستبداد الوزراء

[1] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص239/ الذخيرة، ص ص115-116

[2] – ابن أبي زرع، الذخيرة، ص ص117-118.

[3] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص353/ ج7، ص241.

[4] – ابن خلدون، المصدر نفسه، ص247 وما بعدها.

[5] – نفسه، ص ص302-362/

بالحكم مستغلين بذلك صغر سن السلاطين وعدم كفايتهم قيادة الدولة[1]، حيث استفرد الوزير أبو بكر بن غازي بشؤون الملك دون الخليفة السعيد بن عبد العزيز المريني الذي وافته المنية سنة 774هـ/1372م وحجبه بالقصر "وحجره عن التصرف في شيء من سلطانه"[2].

ورغم ما أبداه الوزير أبا بكر من قوة عزيمة وسداد رأي غير أنّه ما لبث أن واجه صعوبات ومنافسة حادة من غريمه الوزير محمد بن عثمان هذا الأخير الذي دعا بالإمارة لأمير مريني آخر يدعى أبا العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي سالم وبالفعل نجح في مسعاه وحمله على العرش سلطاناً سنة 776هـ/1374م[3].

تواصل صراع الملوك على العرش سنين متوالية تخللتها مؤامرات وتصفية جسدية لكثير من الشخصيات الوازنة في البيت المريني[4]، صحبه تدهور كبير على مستويات متعددة سياسية، اقتصادية واجتماعية؛ واستمر الوضع متدهورًا إلى غاية ظهور الوطاسيين الذين عملوا على افتكاك السلطة من المرينيين بسياستهم المجحفة ضد الرعية.

والجدير بالذكر كذلك أنّ الهجمات الصليبية على سواحل المغرب وافتكاك البرتغاليين والإسبان المدن الساحلية زاد من حدّة الوهن والضعف الذي نخر كيان الدولة المرينية. ومن جهة أخرى اجتمع أمر الرعية على خلع طاعة السلطان عبد الحق الثالث وقتله سنة863هـ/ 1458م ومبايعة أحد الأشراف الأدارسة ليقوم بشؤونهم بدله بصفة مؤقتة، معلنين بذلك نهاية الدولة المرينية وأفول نجمها من بلاد المغرب الإسلامي[5].

وخلاصة لما سبق ذكره نستنتج أنّ اختراق المرينيين للمجال الموحدي ومزاحمتهم في أراضي ملكهم زرع فيهم فكرة الوريث الشرعي لحدود الدولة الموحدية، وجعلهم يبادرون في غزو الغرب الإسلامي والسعي إلى افتكاك ولاء القبائل العربية والبربرية، وكذا إزعاج الزيانيين والحفصيين بحروب طويلة الأمد كثيرة التكلفة على أطراف النزاع باسم "الشرعية في الحكم"؛ كما أنّ صراع الزعامة واستفراد الوزراء بالسلطة دون الخلفاء كلّف الدولة المرينية مجالاتها ومناطق نفوذها ما عجّل بضعفها وانمحاء رسمها.

---

[1] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص396- 398.

[2] – ابن خلدون، المصدر نفسه، نفس الجزء، ص446

[3] – نفسه، ص455.

[4] – نفسه، ص466-474/467

[5] – السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص ص150-159/ حسين مؤنس، **تاريخ المغرب وحضارته**، دار العصر الحديث، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ج2، ص ص55-72.

الفصل الثاني:

الصراع الزياني المريني من المواجهة إلى المهادنة

أولاً– أسباب الصراع وبداياته

ثانياً– كرونولوجيا الصراع (المواجهات العسكرية)

ثالثاً– المهادنة (السلم المؤقت)

أولًا– أسباب الصراع وبداياته:

يُرجع ابن خلدون بدايات الصراع الزياني المريني إلى ما قبل دخول مرحلة التحضر وبناء الدولتين، إذ كان بين الحيين منافسة ومناغاة طويلة الأمد في صحراء القفر بحكم القرابة والجوار، فلم يكن يفصل ديارهما سوى الوادي المحاذي لمنطقة فكيك [1]، وازدادت حدّة الصراع عند دخول بني عبد الواد في طاعة الدولة الموحدية واستقواء هذه الأخيرة بهم عند كل نزاع يحدث مع بني مرين، فتراكم العداء بين بني العمومة نظرًا لتغليب كل طرف مصلحته في سبيل زعامة قبيلة زناتة.

وإثر ضعف الموحدين واضطراب ملكهم تحوّل مركز النزاع من زعامة القبيلة إلى زعامة بلاد المغرب الإسلامي وبسط النفوذ على جميع ربوعه؛ والمتتبع لعمر الدولتين يجد أنّ بني زيان كانوا السّباقين لولوج ميدان السياسة بانضمامهم تحت لواء الموحدين وخدمتهم سنين طويلة؛ فيما تأخر بنو مرين عن مفارقة الصحراء ودخول المغرب الأقصى إلى ما بعد ضعف الدولة الموحدية وتفكك وحدتها،وكان هذا السبب حافزًا لهم في إنشاء الملك والمنافسة عليه بإظهارهم قوة عسكرية كبيرة جدًا في حروبهم ضدّ الموحدين، متناسين بذلك مجد الرياسة وإثبات الحضور القوي لقبيلهم على مسرح الأحداث.

ويعود تاريخ تنافسهما إلى استيلاء بني مرين على مدينة فاس التي اتخذوها عاصمة لدولتهم الناشئة سنة 647هـ/ 1249م، لكن سرعان ما ثار الجنود المرتزقة بها وأعلنوا ولاءهم للموحدين مستغلين في ذلك غياب الأمير أبي يحي أبي بكر بن عبد الحق المريني الذي خرج في مهمة جمع الضرائب من القبائل والمدن المجاورة، ولما بلغه خبر العصيان وخلع الطاعة أسّرع في المسير عائدا إلى فاس وضيّق على أهلها بالحصار [2].

وإثر ذلك اتصلت المخاطبات بين الخليفة المرتضى ويغمراسن بن زيان داعيا إياه إلى مواجهة بني مرين وفك الحصار عن مدينة فاس، فلم يتأخر يغمراسن عن قبول اقتراح الخليفة وتوجه بجيشه إلى ملاقاة بني مرين، ويعتبر هذا الحدث سببًا وجيها لبدايات الصراع الزياني المريني كما سنوضحه في المبحث الموالي.

[1] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص111.

[2] – ابن خلدون، المصدر نفسه، نفس الجزء، ص112.

ثانيًا: كرونولوجيا الصراع (المواجهات العسكرية)

1- موكة إيسلي [1] الأولى647هـ/1249م:

دارت رحى المعركة بالقرب من وجدة [2] انهزم فيها الجيش الزياني وفر يغمراسن باتجاه تلمسان تاركًا محلته غنيمة لبني مرين [3].

والجدير بالذكر أنّ هذه المعركة تعتبر أول لقاء عسكري بين نظامين سياسيين فتيين؛ كان الدافع فيه من جهة المرينيين بسط النفوذ والاستحواذ على مساحات واسعة من تركة الدولة الموحدية التي كانت في تلك الفترة على وشك الانهيار التام، بينما كان دافع بني زيان استرجاع مدينة فاس إلى عرين الموحدين.

بعد معركة إيسلي قصد يغمراسن سجلماسة ودرعة لتملكهما، غير أنّ أبا بكر المريني جدّ في السير فسبقه ودخلها يومين قبل وصول الجيش الزياني، الذي حاصرها دون فائدة ترجى فضلا عن أنّ الصراع كان سجالا بين الطرفين لتكافئهما عسكريًا، ما دفع يغمراسن إلى الانسحاب والعودة إلى تلمسان؛ وعقد المرينيون ليوسف بن يزناسن ليحكم الجهة الشرقية من المغرب الأقصى باسمهم وتحت ولايتهم [4].

2- موكة وادي تلاغ 666هـ/1267م:

بوفاة أبي يحي أبي بكر بن عبد الحق المريني سنة 656هـ/1258م خلفه أخوه أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق بعد نزاع على العرش مع ابن أخيه، ولم يتوان في حرب بني زيان الذين تحالفوا مع أبي دبوس الموحدي [5]؛وكرد فعل على هذا التحالف أقدم بنو مرين على محاصرة مراكش عاصمة الموحدين، لكن يغمراسن لم يتخل عن حليفه فأزعج الجبهة الشرقية لبني مرين الأمر الذي أجبر أبا بكر المريني فك الحصار بصفة مؤقتة [6].

---

[1] – مدينة قديمة تقع بالقرب من وجدة كانت بها أسوار وحصون، وبها نهر يسقي بساتينها. عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م، ص58.

[2] – مدينة قديمة بناها الأفارقة في سهل فسيح على نحو 40 ميلا جنوب البحر المتوسط، وهي على نفس البعد تقريبا من مدينة تلمسان تمتاز بخصوبة الأراضي الزراعية، تعرضت للخراب أكثر من مرة على اليد القوات الزيانية والمرينية باعتبارها نقطة عبور لكلا الطرفين. حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص12.

[3] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص112.

[4] – ابن خلدون، المصدر نفسه، نفس الجزء، ص ص175-176.

[5] – ابن أبي زرع، **الذخيرة**، ص112.

[6] – ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص115.

خرج الجيش المريني سنة 666هـ/ 1267م من مدينة فاس باتجاه المغرب الأوسط مكتسحًا مجالات بني عبد الواد والتقى بالجيش الزياني في وادي تلاغ ودارت بينهما معركة طاحنة كانت من أعنف المعارك بين الطرفين؛ حتى أنّ النسوة برزن سافرات من أجل تحريض الجنود على الذود عن مدينتهم [1].

والجدير بالذكر أنّ التفوق العددي لبني مرين حسم المعركة لصالحهم وعاد الجيش الزياني يجر أذيال الهزيمة إلى تلمسان بعد أن تمزقت صفوفه؛ فيَم عمل بنو مرين على تقوية جيشهم باستمالة القبائل العربية والاستعانة بخدمات الجنود المرتزقة من النصارى والأغراز (المماليك) [2].

وفي الضفة الأخرى من البحر المتوسط وتحديدا بالعدوة الأندلسية استفحلت حروب الاسترداد وضيّق الخناق على المسلمين هناك، فاستنجد بنو الأحمر ببني مرين وطلب منهم النصرة؛ الأمر الذي دفع بيعقوب بن عبد الحق إلى تغيير استراتيجيته تجاة الزيانيين وبعث لهم وفدًا داعيا إلى الهدنة ربحا للوقت وتأمينا لجانبه الشرقي، غير أنّ يغمراسن بن زيان رفض الصلح بحجة مقتل ابنه وولي عهده في المعركة ورد على الرسول قائلًا: "لا صلح بيني وبينه ولو بلغت في حربه الردى، لقد قتل ولدي وقرة عيني وولي عهدي عمر، أُصالِح وأُهدر دمه؟ والله لا كان هذا أبدا ولا أترك دم ولدي يمضي سدا حتى آخذ منه الثأر وأضيق بلاده التبلى" [3].

وبموجب هذه الرسالة المستفزة عدل يعقوب بن عبد الحق عن نصرة الأندلس خوفًا من ضياع بلاد المغرب بعد غيابه، لذا ركن إلى مجابهة بني زيان ومواجهتهم عسكريًا.

3- معركة إيسلي الثانية 670هـ/1272م:

تحرك الجيش المريني من فاس وخرج الجيش الزياني من تلمسان وكان اللقاء بينهما منطقة إيسلي قرب وجدة، ودارت رحى الحرب بين الفريقين كانت الغلبة فيها للمرينيين وفر يغمراسن بعد مقتل ابنه الثاني أبو عنان فارس، فنهبت محلته وأضرمت فيها النيران؛ وليس هذا وحسب بل لحق جند بني مرين وحاصروا تلمسان وعاثوا في ساحاتها سلبًا ونهبًا وتخريبًا [4] .

---

[1] – ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص305.

[2] – حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 128.

[3] – ابن أبي زرع، **الذخيرة**، ص130/ **الأنيس المطرب**، ص309.

[4] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص115/ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص129.

والجدير بالذكر أنّ يغمراسن تعرض للخيانة من قبل بني توجين حلفائه وبني عمومته، الذين انظموا إلى الطرف المريني نكاية فيه بسبب غزوه لبلادهم ولم يرع فيهم صلة القرابة [1]؛ وبطبيعة الحال لم ينسحب بنو توجين من ساحة الحصار إلّا بعد أن أغدق عليهم يعقوب بن عبد الحق بالعطايا من الخيل والمال، وسار هو إلى بلاده ونزل رباط الفتح سنة 670هـ/1272م وانشغل بتنظيم أمورها واهتم بشأن الأندلس [2].

4- موكة وادي التافنة678هـ/1280م:

مهّد لهذه الموكة أسباب نذكرها على التوالي في هذه الأسطر، حيث نهض يغمراسن بن زيان لينتقم من بني توجين الذين خانوا العهد وتحالفوا مع بني مرين؛ وفي ذات الوقت زحف أبو يوسف يعقوب المريني على سجلماسة التي كانت تحت حكم بني زيان وانتزعها لصالحه سنة 673هـ/1274م ناقضا بذلك الهدنة بينهما [3].

ومن نافلة القول أنّ يغمراسن انتهز فرصة أخرى كذلك لإعلان نهاية الهدنة واستئناف الصراع، وهي استنجاد بني الأحمر به نظرًا لاستفحال أمر بني مرين بالأندلس وحمايتهم للثوار والمناوئين ودعمهم من أجل تقويض ملك بني الأحمر؛ الأمر الذي دفع بهؤلاء إلى اللجوء ليغمراسن من أجل إرغام المغرب الأقصى وصرف نظر أبي يعقوب يوسف عن بلادهم [4].

وحين علم بنو مرين بالاتفاق المبرم بين الزيانيين وبني الأحمر سارعوا إلى طلب الصلح من جديد، لكن يغمراسن أصّر على قتالهم، وردّ على رسولهم قائلًا: "لا صلح بيني وبينه أبدًا وليس له عندي ما عشت إلّا الحرب...فقل له يتأهب للقائي وليستعد لتوالي وقتالي" [5].

زحف بنو مرين للمغرب الأوسط والتقى الجيشان بوادي التافنة سنة 678هـ/1280م، ولم ينفع يغمراسن تهديده إذ انقضت القوات المرينية على محلته ومزقوها واقتسموها غنيمة، في حين لاذت بقايا الجيش الزياني بالفرار إلى الصحراء [1]

---

[1] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 116-117.

[2] – حسين مؤنس، المرجع السابق، ص129.

[3] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 114/ محمد الطمار، **تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د،ط)، 1984م، ص87.

[4] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 65. عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، مكتبة الشركة الوطنية، الجزائر، (د،ط)، 1965م، ج1، ص105.

[5] – ابن أبي زرع، **الأنيس**، ص335.

وبعد أن توالت هزائم يغمراسن [2] أيقن من قوة خصمه فأوصى ولي عهده بتهدئة الجبهة الغربية ومسالمة بني مرين وعدم التعرض لأراضيهم [3].

5- الحصار الطويل 698هـ/1299م:

بعد وفاة يغمراسن بن زيان خلفه على سدة الحكم ولي عهده أبو سعيد عثمان الذي عمل بوصية والده والتي اعتبرت لقرون متطاولة خارطة طريق وجّهت السياسة العامة لبني زيان تجاه بني مرين؛ حيث تضمنت الرسالة نقاطًا كثيرة من أهمها حماية مدينة تلمسان وتحصينها لتكون ملاذًا للخليفة أثناء الحصار؛ وبعد أن استّتب ليوسف بن يعقوب المريني الملك من بعد أبيه سنة 687هـ/1286م نزل لبني الأحمر عن مدن أندلسية، ثم تفّرغ لحرب بني زيان فكانت حركته الأولى نحو تلمسان سنة 689هـ/1290م ضرب عليها حصارًا ونصب المجانيق والآلات غير أنها امتنعت عنه فانكفأ راجعا إلى بلاده [4].

والجدير بالذكر أنه كان لأبي يعقوب يوسف المريني ابن يدعى أبا عامر ولاه مدينة مراكش فانتوى بها ودعا لنفسه بإيعاز من وزيره ابن عطو، فقام والده لحربه ففر باتجاه تلمسان سنة 688هـ/1289م فأجاره السلطان أبو سعيد عثمان الزياني وأكرم وفادته، ثم عفا عنه والده وأعاده إلى مدينة فاس غير أنه لم يعفو عن وزيره وطالب السلطان الزياني بتقديمه له إلا أنه رفض، فقرر أبو يعقوب غزو تلمسان وأقام عليها حصارا طويل الأمد انتهى ببناء مدينة المنصورة [5]التي سنأتي على ذكر تفاصيل بنائها فيما هو قابل من الفصول.

ومضى يشن الغارات حول البلاد حتى أضّر بها فاستولى على المدن التابعة لتلمسان منها: ندرومة، هنين، وهران، تالموت، تامزدكت، مستغانم، شرشال، برشك، مازونة، الونشريس، وجميع بلاد بني عبد الواد وتوجين ومغراوة [6]

استمر الحصار المريني لتلمسان ثماني سنوات (8) وثلاثة أشهر (3) فعانى الساكنة الأمرين الجوع والخوف، و"نالهم من الجهد ما لم ينله أمة من الأمم، واضطّروا إلى أكل الجيف والقطط والفئران حتى أكلوا أشلاء الموتى من

---

[1] – محمد الطمار، المرجع السابق، ص89.

[2] – ينظر في سلسلة الحروب: ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص 197-198، 203-209/ **الذخيرة السنية**، ص83/97/131-132/145-151.

[3] – ابن خلدون، المصدر السابق ج7، ص123/ عطاء الله دهينة، **وصية يغمراسن**، مجلة التاريخ وحضارة المغرب العربي، ع6، 27 جويلية، 1969م، ص ص22-26.

[4] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص124.

[5] – التنسي، المصدر السابق، ص178/ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص127.

[6] – ابن خلدون، المصدر نفسه، نفس الجزء، ص126

النّاس، وخرّبوا السقوف للوقود وظّلت أسعار الأقوات والحبوب وسائر المرافق تجاوز العادة، وقد وصل ثمن مكيال القمح الذي يسمونه البرشالة ويبتاعون به مقداره اثني عشر رطلاً ونصف مثقالين من الذهب العين، وثمن الرأس الواحد من البقر ستون مثقالاً، ومن الضأن سبعة مثاقيل، وأثمان اللحم من الجيف الرطل من لحم البغال والحمير بثمن مثقال ومن الخيل بعشرة دراهم، ورطل من الجلد البقري ميتة بثلاثين درهمًا، والهر بمثقال ونصف، والكلب بمثله، والفأر بعشرة دراهم والدجاجة بثلاثين درهما والبيضة بستة دراهم... " [1]

ومن نافلة القول أنّ أهل تلمسان استهلكوا أموالهم وأقواتهم وضاقت بهم الأحوال، وتوفي حسب رواية يحي ابن خلدون ما يناهز مائة وعشرون ألف (120.000) إنسان؛ في حين اتسّع ليعقوب بن عبد الحق المريني ملك المنصورة واستبحر عمرانها وقصدها التجار من كل ناحية [2].

وتجدر الإشارة أيضا إلى أنّ السلطان عثمان بن يغمراسن صمد في وجه الحصار إلى غاية وفاته، فخلفه ابنه أبو زيّان محمد بن عثمان (703-707هـ/1034-1308م) [3] الذي أبلى بلاءً حسنا في الذود عن عاصمته، واستمر الحصار إلى مقتل أبي يعقوب يوسف سنة 706هـ/1307م غيلة على يد خادمه [4] فتخلصت تلمسان من شدّة الحصار إثر رحيل المرينيين إلى بلادهم.

عمد أبو زيان إلى إعادة ترتيب ما خرّبه المرينيون طيلة الثماني سنوات فاتجه صوب المناطق الشرقية لاسترجاع نفوذه على بلاد مغراوة ومنطقة شلف وجبل الونشريس والمدية وغيرها من المدن والنواحي، ثمّ رجع إلى أحواز وهران فملكها وأخضع بلاد توجين لسيطرته [5]؛ ثمّ عاد إلى تلمسان وشرع في إعادة هيكلة عاصمته فأمر ببناء القصور والأسوار التي تأثرت جراء الحصار، غير أنّ الموت داهمه قبل إكمال مسيرته الاصلاحية إذ توفي في شوال سنة 707هـ/1308م [6].

---

[1] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص128.

[2] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص125/ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 128.

[3] – التنسي، المصدر السابق،ص178.

[4] – المقري، **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، (د،د)، القاهرة، (د،ط)، 1940م، ج2، ص ص335-336/ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص129.

[5] – ابن خلدون، المصدر نفسه، نفس الجزء، ص 130/ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص134.

[6] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 130.

6- غزوة 714هـ/1314م:

بعد وفاة أبي زيّان بويع على العرش الزياني أخاه أبو حمو موسى الأول الذي افتتح عهده بهدنة مع بني مرين -سنذكر تفاصيلها فيما هو قابل من المباحث-، وانصرف إلى تنظيم شؤونه الداخلية فغزا مغراوة وبني توجين ودوّخ جهتهم وأرغمهم على الطاعة، كما شرّد بالعصاة جهة وانشريس وشلف وعقد ليحي بن عطية على رئاسة قومه في جبل وانشريس، وجمع ليوسف بن حسن رئاسة المدية وأعمالها، وعقد لسعد على رئاسة قومه من بني يدلتين إحدى بطون بني توجين، فضلا عن استعماله لمولاه مسامح على بلاد مغراوة؛ ولم يكن هذا حسبه فقط بل عمد إلى أخذ الرهائن وفرض الجباية على القبائل ضمانا لاستمرار الولاء لشخصه واستدامة ملكه[1].

وفي الوقت الذي كان السلطان أبي حمو موسى الأول منهمكا في توسيع نفوذه نحو الجهة الشرقية، تمرد يعيش بن يعقوب المريني على أخيه السلطان أبي سعيد عثمان بن عبد الحق[2]، والتحق ببني زيان طالبا اللجوء فاستقبله أبو حمو موسى، لكنّ السلطان المريني بعث وفدا إلى تلمسان مطالباً بتقديم أخيه، غير أنّ السلطان الزياني رفض تسليمه، الأمر الذي دفع بالمرينيين إلى نقض الصلح وإعلان الحرب؛ حيث تحركت الحملة عسكرية إلى تلمسان عبر ممر تازة ووجدة، فنزلها السلطان أبو سعيد عثمان لكنها استعصت عليه بعد أن تحصّن ساكنتها بأسوارها، فاضطر إلى الانسحاب المباشر[3].

7- حصار أبي الحسن المريني (735-737هـ/1334-1336م):

جلس أبو تاشفين عبد الرحمن الأول (718-738هـ/1318-1337م) على العرش بعد اغتياله لوالده أبي حمو موسى الأول سنة 718هـ/1318م، مواصلا سياسة سابقيه في التوسع نحو الجهة الشرقية لبلاد المغرب الأوسط والاستحواذ على مناطق النفوذ التي تعكس قوة وهيبة الدولة الزيانية[4]؛ فغزا مجالات بني توجين ومغراوة[5]، ثمّ سار نحو الشرق باتجاه مجالات بني حفص حيث حاصر بجاية سنة 719هـ/1319م، وأعاد الكرة سنة 721هـ/1321م باتجاه كل من بجاية وقسنطينة لكنها امتنعتا عليه، فابتنى حصن بكر قرب وادي بجاية وترك فيه حاميته العسكرية وقفل راجعا إلى تلمسان، وكانت لهذا السلطان جولات كثيرة نحو الشرق الأمر الذي هدّد كيان

[1] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص132.

[2] – هو عثمان بن يعقوب بن عبد الحق يكنى أبي سعيد، حكم 21 سنة، توفي سنة 731هـ/1330م.ابن الأحمر، **روضة النسرين**، ص ص23-24.

[3] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص135-136/ التنسي، المصدر السابق، ص187.

[4] – يحي بوعزيز، **تلمسان عاصمة المغرب الأوسط**، منشورات تلمسان عاصمة الثقافة الدينية، الجزائر، (د،ت)، ص65.

[5] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص142.

الدولة الحفصية، خاصة بعد تمكن الزيانيين من دخول مدينة تونس سنة 730هـ/1330م والإقامة بها لأربعين يوما كاملة، فضلا عن محاصرة السلطان الحفصي في مدينة قسنطينة [1].

والأكيد أنّ الحفصيين لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام الزحف الزياني بل عمد السلطان الحفصي إلى بعث سفارة مهمتها التوسط في عقد الصلح بين الطرفين غير أنّ جهودها باءت بالفشل[2]؛ فاهتدى إلى طلب المساندة من أبي سعيد المريني (710-731هـ/1310-1331م) في صد الهجومات الزيانية مقابل المصاهرة السياسية بين إحدى الأميرات الحفصيات وأبي الحسن بن السلطان أبي سعيد المريني. ولم يتردد المرينيون في قبول الاقتراح بل رأوا التحالف فرصة مواتية للقضاء على الدولة الزيانية والحاق تلمسان بملكهم في فاس[3].

أوفد أبو سعيد المريني سفارة إلى أبي تاشفين يدعوه إلى الكف عن مهاجمة إفريقية وفك الحصار عن بجاية، لكن طلبهم قابله السلطان الزياني بالرفض، وتحدى بني مرين في مجالاتهم حيث وجّه جيشا لغزو مدينة تاوريرت القريبة من حدود دولته وهزم جيشها ثمّ قفل راجعا إلى تلمسان[4].

وتجدر الإشارة إلى أنّ المنية عاجلت السلطان المريني أبا سعيد سنة 731هـ/1331م قبل أن تكون له ردة فعل تجاه بني زيان؛ لكن فور تولي السلطان أبو الحسن[5] الخلافة بعد والده جهّز جيشا خرج به من مدينة فاس سنة 732هـ/1332م باتجاه تسالة ضرب عليها حصارا طويلاً، وبعث المدد إلى أصهاره الحفصيين ببجاية، فتمكن الحفصيون من هدم القاعدة العسكرية (تامزيزدكت) التي بناها أبو تاشفين بالقرب من بجاية وفك الحصار عنها، وتراجعت بذلك القوات الزيانية إلى ما وراء تخومهم[6] .

وبعد قضاء أبي الحسن على ثورة أخيه واستتاب الأمر له خرج بجيشه سنة 735هـ/1335م باتجاه المغرب الأوسط واكتسح في طريقه مدن عديدة منها وجدة، وندرومة، وهنين، ولم تكد تمضي سنة 736هـ/1336م حتى

---

[1] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص143-145.

[2] – التنسي، المصدر السابق، ص143/ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص218.

[3] – يحي بن خلدون، المصدر نفسه، نفس الجزء، ص218.

[4] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص146.

[5] – هو علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق يكنى أبو الحسن، ويلقب بالمنصور بالله، بويع بعد وفاة والده سنة 731هـ/1330م يعتبر من أقوى السلاطين المرينيين حكم المغرب الإسلامي كله تقريبا، وتوفي عام 752هـ1351م. ابن الأحمر، **روضة النسرين**، ص ص25-26/ ابن مرزوق الخطيب، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تح ماريا خيسوس بيغيرا، تق محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص ص125-126.

[6] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص146-147.

ملك بنو مرين مجالات الدولة الزيانية وحاصروا تلمسان حين لم يتمكنوا من دخولها، وأعاد السلطان أبو الحسن بناء مدينة المنصورة لتصبح مقرا له ولجيشه، وشدّد من خلالها الخناق على تلمسان باستعمال أحدث الآلات العسكرية في تلك الفترة مثل: المجانيق؛ ودام الحصار لأكثر من ثلاثين شهراً قاوم فيه بنو زيان مقاومة شرسة إلى أن تفطن المرينيون إلى مصدر المياه الذي كان يزود المدينة فعملوا على قطعه، ومنه كان انهيار وتقهقر بني زيان.

وفي أواخر شهر رمضان من سنة 737هـ/1337م تمكن السلطان أبو الحسن من اقتحام مدينة تلمسان والقضاء على السطان أبي تاشفين وحاشيته، وبذلك أفل نجم الدولة الزيانية لمدة اثني عشرة سنة (12) كاملة، حيث أصبح المغرب الأوسط في تبعية سياسية للدولة المرينية؛ وتمّ لأبي الحسن المريني ما كان يربو له هو وأسلافه من بني مرين في الزعامة المطلقة على قبائل زناتة[1].

وقد كان بعض أفراد البيت الزياني محاولات في استرجاع ملكهم المسلوب غير أنّ محاولاتهم باءت بالفشل، واستمر الحال إلى ما هو عليه إلى غاية مجيء أبي حمو موسى الثاني؛ وقد أشرنا إلى كل ذلك في الفصل السابق[2] ولا سبيل إلى تكراره.

8- غزوة سنة 760هـ/1359م:

تعتبر هذه السنة سنة إحياء أبي حمو موسى الثاني ملك أجداده بتلمسان التي دخلها منتصراً بعد أن استغل بدايات ضعف الدولة المرينية وتراجع هيبتها إثر هزيمة جيشهم على تخوم إفريقية سنة 758هـ/1357م ووفاة السلطان أبي عنان، لينتقل بنو مرين إلى مرحلة جديدة من عمر دولتهم ألا وهي سلب الوزراء زمام السلطة من ولاة العهد بفاس [3].

كان الوزير الحسن بن عمر هو المتصرف في شؤون الملك -بعد وفاة أبي عنان- باسم الخليفة الصغير السعيد بن أبي عنان، فلم يكن أمامه من خيار سوى مواجهة بني زيان لاسترجاع مدينة تلمسان؛ وسّير لها جيشا فيه خيرة القادة والجند؛ غير أن حنكة أبي حمو موسى الثاني أرشدته إلى ترك المدينة واللحاق بالصحراء إذ لم يكن له من العتاد والعدة ما يؤهله للقاء عسكري مباشر [4].

---

[1] - ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص147-148.

[2] - ينظر الفصل 1، ص ص19-20.

[3] - ينظر الفصل الأول، ص ص27-28.

[4] - ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص164.

9- غزوة سنة 761هـ/1360م:

كانت بإيعاز من السلطان المريني أبي سالم [1]بعد أن استوسق له حكم بني مرين إثر تغلبه على الوزراء، فأراد أن يسود له حكم قبائل زناتة كما فعل الخلفاء الذين سبقوه، فأجمع أمره وعزم باتجاه تلمسان؛ ولما بلغ خبره لأبي حمو موسى الثاني استنهض حلفاءه من القبائل العربية زغبة والمعقل، وتوجّه بهم نحو الصحراء فرارًا من حاضرة ملكه مجتنبًا المواجهة المباشرة، ومعقبا لهم في مجالاتهم حيث نزل بلاد ملوية وما جاورها من مدن وخرّب عمرانها ونسف زروعها [2].

وحين بلغ الخبر لأبي سالم وهو مقيم ببطحاء تلمسان عمد إلى تولية محمد بن عثمان بن أبي تاشفين بن يغمراسن المكنى بأبي زيان إدارة شؤون المدينة تحت ولايته، لكن هذا الأخير لم يمكث بها طويلا بل اتجه صوب مليانة ووهران وانترى بهما، ودخل أبو حمو موسى تلمسان للمرة الثانية سلطانا، ومن هذه الحادثة تأجّج الصراع الأسري على الحكم بينه وبين ابن عمه أبا زيان بتحريض من بني مرين؛ إلّا أنّ أبا حمو موسى الثاني تمكن من فرض قوته وبسط سيطرته على المناطق التي انترى بها ابن عمه وألحقها بملكه بتلمسان [3].

10- حركة أبي حمو موسى الثاني للمغرب 766هـ/1365م:

تعتبر أول حركة يقودها سلطان منذ تأسيس الدولة الزيانية باتجاه التخوم الغربية، حيث عاشت تلمسان سنوات طوال دور المدافع لا الغازي؛وكان سبب هذه الحركة توسعيا بالدرجة الأولى حيث هاجم أبو حمو موسى جرسيف ودبدو، وانتهب زروعهما وعاث في نواحيهما بالتخريب والنهب، ثم انكفأ راجعا إلى حاضرته [4].

11- حركة السلطان عبد العزيز المريني [5]على تلمسان 772هـ/1370م:

كانت مناسبة هذه الحركة أن اقتحم السلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني بلاد قبيلة سويد [1]وأخذ زعيمهم محمد بن عريف رهينة إلى تلمسان، فقام بنو سويد واستصرخوا بني مرين أشياعهم ورغّبوهم في ملك تلمسان،

---

[1] – هو إبراهيم بن أبي الحسن يكنى بأبي سالم ولقبه المستعين، ولد سنة 735هـ/1334م، بويع بالخلافة سنة 760هـ/1358م، كانت دولته سنتين وثلاثة أشهر وأربعة أيام. ابن الأحمر، روضة النسرين، ص30.

[2] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص167.

[3] – ابن خلدون، المصدر نفسه، نفس الجزء، ص167.

[4] – نفسه، ص ص170-171.

[5] – هو عبد العزيز بن أبي الحسن يكنى أبا فارس تولى الحكم من (768-774هـ/1366-1372م). ابن الأحمر، روضة النسرين، ص33/ابن القاضي المكناسي، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، 1973، ج2، ص ص449-450.

فلحق السلطان الزياني بأنصاره من عرب المعقل بالصحراء متويًا عن حاضرته التي دخلها بنو مرين في يوم عاشوراء، ثم لحقوا به إلى منطقة الزاب وخربوا حاميته ونهبوها، كما امتلكوا المغرب الأوسط من وهران، مليانة، الجزائر، المدية وجبل وانشريس [2] .

استمر أبو حمو موسى الثاني مغربًا في الفيافي لمدة سنتين وتلمسان تحت حكم بني مرين إلى غاية وفاة السلطان عبد العزيز (768-774هـ/1366-1372م)، أين قامت القوات المرينية المرابطة بتلمسان إلى التوجه إلى فاس، مخلفين وراءهم إبراهيم بن أبي تاشفين الذي تربى في أحضانهم واليا عليهم بالمدينة غير أنّ السلطان أبي حمو تغلب عليه وتمكّن من استرجاع ملكه سنة 774هـ/1372م [3].

ويعتبر خروج السلطان الزياني عن عاصمته هو الخروج الثالث الطويل حيث استمر لمدة سنتين تقريبًا كانت فيها جموع بني زيان شريدة طريدة في الفيافي والقفر.

12- حركة السلطان أبي حمو موسى الثاني إلى تلزا 783هـ/1381م:

استغل السلطان الزياني أبي حمو حركة السلطان المريني تجاه مراكش لتأديب شيخ قبيلة المعقل يوسف بن علي بن غانم الذي استنجد ببني زيان فأنجده أبو حمو على ذلك، فاستنهض قواته بمعية ابنه أبي تاشفين وحاصر مدينة تلزا وخرّب قصر تازروت المعدّ لإقامة السلطان هناك، كما هدم قصر وزمار، وعاث فيه فسادا وتدميرا ثم قفل راجعا إلى تلمسان [4] .

13- حركة السلطان أبي العباس المريني786هـ/1384م:

جاءت هذه الحركة كرد فعل على ما أقدم عليه السلطان الزياني أبي حمو وابنه أبي تاشفين وقبائل من العرب في غزو الثغور المغربية التابعة للحكم المريني بعد استنجاد قبيلة المعقل هناك، حيث خرج بنو مرين من فاس باتجاه تلمسان، وحين بلغ خبرهم إلى أبي حمو موسى الثاني عزم على ترك مدينته والخروج إلى معسكره بالصفيف ومن ثم إلى البطحاء متجنبًا القوات المرينية؛ فدخل أبو العباس تلمسان ومنها جهّز العساكر لأتباع أبي حمو وقومه المعتصمين بحصن تاحجموت [5] .

---

[1] – تنسب إلى سويد بن عامر بن مالك، أقطعهم يغمراسن بن زيان البطحاء والسرات، كما كان لهم دور بارز في تاريخ المغرب الأوسط. ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص59-60.

[2] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص176-177.

[3] – ابن خلدون، المصدر نفسه، نفس الجزء، ص178-180/ ابن الأحمر، المصدر السابق، ص56

[4] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص188-189.

[5] – ابن خلدون، المصدر نفسه، نفس الجزء، ص ص189-190.

والجدير بالذكر أنّ بنو زيان كانوا على عهد ووفاق مع بني الأحمر في تلك الفترة ما جعل انقاذ تلمسان من بطش بني مرين يسيرًا، حيث أقدم بنو الأحمر على إزال قواتهم بمدينة سبتة منها إلى مدينة فاس، الأمر الذي دفع بالقوات المرينية وعلى رأسها السلطان أبي العباس إلى ترك تلمسان وشأنها ورجع مسرعًا إلى دار ملكه [1].

14- سيطرة بني مرين على المغرب الأوسط:

أكّد استمرار الصراع بما لا يدع مجالا للشك أنّ المغرب الأوسط وتلمسان تحديدا ليس في استطاعتها الصمود لعقود متتالية دون الوقوع في شباك بني مرين الذين أكدوا عزمهم منذ البداية على زعامة زناتة ووراثة تركة الدولة الموحدية؛ حيث استطاعوا تأليب أبي تاشفين الثاني على والده أبي حمو موسى الثاني مستخدمين جل طرق الإغراء والمدد العسكري، حتى اصطدم الابن بوالده على وراثة العرش وتمكن أبو تاشفين من الإطاحة بوالده وأرداه قتيلا سنة 791هـ/1390م وتولى عرش بني زيان تحت اسم بني مرين، فمنذ هذا التاريخ تأكدت تبعية تلمسان للمرينيين وخطب لسلاطينهم على المنابر ودفعت الإتاوة السنوية [2] .

وبعد إطاحة أبي تاشفين بملك والده توالت الصراعات داخل البيت الزياني بين ورثة أبي حمو موسى الثاني، فيما استمر بنو مرين في تأجيج الخلافات والدفع بها إلى حد المواجهات العسكرية، حيث اصطدم أبو تاشفين – المدعوم من قبل بني مرين– مع أخيه أبي زيان –المستمد قوته من القبائل العربية– سنة 792هـ/1391م، لكنّ أبا زيان مني بهزيمة شنعاء اضطرته إلى الانسحاب باتجاه الصحراء، ومن ثمّ تتبع خطى أخيه ودخل في طاعة المرينيين [3].

حاول أبو تاشفين خلع طاعة المرينيين فجاءه الرد السريع، حيث كلّف السلطان المريني أبو العباس أخاه أبا زيان سنة 795هـ/1394م بغزو تلمسان وتمّلكها، وما إن وصل جيشه إلى مدينة تلزا بلغه خبر وفاة أبي تاشفين ومبايعة ابنه الصغير في السن تحت وصاية الوزير أحمد بن المعز فتراجع عن مقصده، وبرز أبو الحجاج يوسف بن أبي حمو مناهضا لهم في العرش وتمّ له الأمر بعد أن قضى على الخليفة ووصيه؛ وإثر ذلك بعث السلطان المريني ابنه أبو فارس إلى تلمسان "فملكها وأقام فيها دعوة أبيه...وانقرضت دعوة بني عبد الواد من المغرب الأوسط" [4]

وبعد وفاة أبي العباس سنة 796هـ/1395م تولى أبو فارس عرش بني مرين ونصّب أبا زيان واليا على تلمسان فاستّتب له الأمر وأعاد هيكلة المدينة إلى سابق عهدها، وهو الأمر الذي أغضب المرينيين فسارعوا إلى

---

[1] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص190-191.

[2] – ابن خلدون، المصدر نفسه، نفس الجزء، ص ص191-196.

[3] – نفسه، ص196.

[4] – نفسه، ص197.

تأليب أهل بيته عليه من أجل كسر شوكته وتم لهم الأمر واغتيل أبو زيان سنة 801هـ/1400م؛ لتغدو تلمسان حاضرة التراعات بامتيازوكلّها في سبيل تولي العرش تحت رحمة بني مرين، واستمر الوضع على ما هو عليه إلى غاية مجيء العثمانيين الذين أعلنوا سقوط الدولة الزيانية سنة 962هـ/1554م.

وخلاصة القول أنّ تلمسان عاشت صراعات طويلة بسبب الاستراتيجية السياسية لبني مرين في وراثة حدود الدولة الموحدية إذ نصّبوا أنفسهم ورثة شرعيين بدل بني زيان والحفصيين؛ بالإضافة إلى تطلعهم الدائم لزعامة قبائل زناتة، وما نستنتجه من كرونولوجيا هذا الصراع أيضا هو تغييب المصادر التاريخية لتفاصيل الوقائع العسكرية ومجرياتها، حيث أنّ ما قدمته لنا كان عبارة عن سرد عام للأحداث وقد يعود ذلك إلى طول فترة الصراع بين المغربين الأوسط والأدنى مما أدى إلى إسقاط إحداثيات المعارك وخسائرها المادية والبشرية بالدرجة الأولى.

ثالثًا- المهادنة (السلم المؤقت):

يظهر التاريخ الدامي ما بين الدولتين الزيانية والمرينية مدى العداء المستحكم عند كلا الطرفين، إذ تبّين لنا من خلال المبحث السابق أنّ التسوع في اتخاذ القرارات بإعلان الحرب كان سيد الموقف، ما جعل فترة السلم بينهما تكون قصيرة في الغالب بسبب سياسة المد والجزر بينهما رغم التاريخ الطويل لعمر الدولتين، وهو ما سنوضحه فيما يلي:

1- الهدنة الأولى673هـ/1274م:

يعود تاريخ هذه الهدنة إلى ما بعد هزيمة الزيانيين في معركة واد تلاغ، حيث عمد يغمراسن بن زيان إلى تدارك الهزيمة بمعاودة غزو الأراضي المرينية فتأهب يعقوب بن عبد الحق إلى لقائه ثانية، وعند وصوله إلى أنكاد [1] بلغه وفد بني الأحمر طالبين نصرته ضد هجمات القشتاليين، فرأى من الصواب التخلي عن مواجهة بني زيان بأن بعث لهم سفارة من أجل تهدئة الأوضاع ببلاد المغرب والالتفات إلى الأندلس، غير أنّ مساعيها باءت بالفشل حيث رفض يغمراسن عرضه وأصّر على استمرار المواجهة [2].

أثبتت مواجهة إيسلي للمرة الثانية قوة الجيش المريني وصموده في ساحة المعركة، وقد نتج عنها تغيير يغمراسن سياسته تجاه بني مرين حيث لم يتأخر في قبول دعوة الصلح الثانية من يعقوب بن عبد الحق إذ التزم بنو زيان بمقتضاها عدم الاعتداء على الأراضي المرينية طيلة فترة غيابهم بالأندلس من أجل صدّ الهجمات القشتالية على بني الأحمر،وكانت لهذه الهدنة أثر بالغ وفرصة ليغمراسن في تنظيم شؤون بلاده الداخلية [3].

2- الهدنة الثانية 684هـ/1285م:

تمت هذه الهدنة بناء على وصية يغمراسن لابنه أبو سعيد عثمان الذي أوفد أخاه ليعقوب بن عبد الحق سلطان بني مرين يطلبه للصلح، وتم بينهما ذلك وتأمنت الحدود الغربية ثم انصرف بنو زيان إلى التوسع شرقًا على حساب الأراضي الحفصية فأغار السلطان أبو سعيد على بني توجين ومغراوة انتسف أراضيهم وحطّم زرعهم، حتى

---

[1] – تقع بين مدينة وجدة ونهر ملوية يخترقها نهر إيسلي. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت)، مج1، ص272.

[2] – ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب، ص130.

[3] – محمد مكيوي، **العلاقات السياسية والفكرية المغاربية للدولة الزيانية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول (633هـ-1236م/737هـ-1337م)**، رسالة ماجستير(مرقونة)، جامعة تلمسان، الجزائر، 2007-2008م،ص 82.

وصل مدينة بجاية حاصرها لكنها امتنعت عليه، فأعاد أدراجه وضمّ عدة مدن حتى انتظمت له بلاد المغرب الأوسط على حد تعبير ابن خلدون [1].

3- الهدنة الثالثة 707هـ/1307م:

أقامها أبي حمو موسى الأول بعد توليه العرش خلفا لأخيه أبي زيان، حيث أوفد كبراء دولته على السلطان المريني أبي ثابت[2] وتمّ عقد السلم الذي به أعلن عن نهاية الحصار المريني الطويل، كما أمّن أبي حمو موسى الأول بهذه الهدنة جانبه الغربي من الهجمات المرينية، ثمّ انصرف إلى إكمال المسيرة التي بدأها أخوه أبا زيان من تنظيم شؤون دولته وإعادة ترتيب البيت الزياني[3].

4- الهدنة الرابعة 761هـ/1359م:

انقسم بنو مرين على أنفسهم بالمغرب الأقصى فأصبحت حاميتهم بالمغرب الأوسط معرضة للخطر بسبب نقص الإمدادات [4]، وهو الأمر الذي دفع بالقوات الزيانية إلى التقدم نحوهم بغرض إجلائهم عن البلاد حيث نزلت تلك القوات بالبطحاء ثمّ توجهت إلى وانشريس واصطدمت ببني مرين وأحلافهم من بني توجين فهزموهم.

وبعد نجاح السلطان أبي سالم في تولي عرش بني مرين عزا تلمسان وأجلى بني زيان إلى الصحراء، ثمّ توالت مساعي الصلح بين الطرفين مقابل كف بني زيان عن مهاجمة الحامية المرينية بالمناطق الشرقية للمغرب الأوسط، وعدول بني مرين عن تلمسان [5]، وعقد الصلح بعد ممطالة من أبي حمو موسى الثاني الذي كان هدفه الاستيلاء على المناطق الشرقية أولًا [6].

---

[1] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7،ص ص 123-125.

[2] – هي مدينة بنواحي الشلف. ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب، ص199.

[3] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص132/ التنسي، المصدر السابق، ص135.

[4] – عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص110.

[5] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص167.

[6] – عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، (ط2011م)، ص95.

5- الهدنة الخامسة 762هـ/1360م:

وجّه السلطان المريني أبي سالم سفارته إلى تلمسان بغرض التأكيد على استمرارية صلح 761هـ/1359م، وحسب صاحب زهر البستان أنّ هذه السفارة كانت موجهة خلسة عن شيوخ بني مرين استفرد بها السلطان أبي سالم مع سفيره عيسى بن روح [1].

وأخذًا بالتقاليد الدبلوماسية المعمول بها في تلك الفترة فقد بعث السلطان الزياني سفارة رسمية إلى بني مرين لتأكيد الصلح على المناطق الشرقية والسلم بين الدولتين، وتولى رئاسة السفارة عمران بن موسى الذي نزل بلاط أبي سالم محملا بالهدايا [2]، وبعد مفاوضاته مع شيوخ بني مرين خمدت نار الفتنة لبرهة من الزمن وأطلق سراح الرهائن من كلا الجانبين [3].

والملاحظ في هذه الهدنة التي سعى لها السلطان المريني في بداية الأمر خلسة أنه كان يعيش ضغطا من قبل شيوخ بني مرين في إثارة الفتنة وغزو تلمسان، إذ لم يتقبل في قرارة نفسه تلك الدعوات فهم ساعيا للصلح الخفي داعيا أبا حمو موسى الثاني إلى إرسال سفارة له متظاهرًا بأنه هو (أبا حمو) من يدعوه للصلح.

وبعد هذه السفارة؛ أوفد السلطان المريني سفارته الرسمية بقيادة الفقيه أبو القاسم بن رضوان إلى تلمسان لاستكمال مساعي الصلح والاتفاق التام على حدود الدولتين وانعقدت شروط الهدنة على أربعة أشهر من السلم وتسليم بني مرين مدينتي وهران والجزائر [4].

والجدير بالذكر أنه على الرغم من كتابة بنود الهدنة رفض السلطان المريني تسليم مدينتي وهران والجزائر لبني زيان، وتمسك بقرار ضمهما إلى ملكه بل وسعى إلى ارتشاء أهلهما من أجل ضمان ولائهما له دون بني زيان [5]، وبناء على الرفض المريني أقدم أبو حمو موسى إلى محاصرة مدينة وهران لمدة ستة (6) أيام وتمكن من دخولها عنوة

---

[1] – مجهول، **زهر البستان في دولة بني زيان**، تح وتق عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ج2، ص ص131-132.

[2] – مجهول، المصدر نفسه، ص ص132-133.

[3] – المصدر نفسه، ص135.

[4] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص86.

[5] – أبي حمو موسى الزياني، **واسطة السلوك في سياسة الملوك**، تح وتع محمود بترعة، دار النعمان للطباعة والنشر، دار الشيماء، الجزائر، 2012م، ص ص248-249.

وهزم الحامية المرينية المرابطة هناك [1]؛ ثم وجّه السلطان أبي سالم سفارة ثالثة إلى تلمسان معلنا لأبي حمو عن تخليه عن مدينة الجزائر وتمكينه منها [2].

6- الهدنة السادسة763هـ/1361م:

نظرا لكثرة الفتن التي عرفتها الدولة المرينية في أواخر أيامها سعى الوزراء إلى عقد الصلح مع بني زيان بعد تبادل سفارات عديدة سنة 763هـ/1361م، وبموجب هذا الاتفاق أطلق سراح الرهائن المحجوزين بمدينة فاس، واستثني من ذلك أبو زيان بن أبي سعيد غريم أبي حمو موسى الذي استبقاه بنو مرين في السجن [3].

7- الهدنة السابعة 767هـ/1365م:

أرسل السلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني سفارة مجاملة سنة 767هـ/1365م إلى البلاط المريني من أجل تأكيد استمرار الصلح بين الدولتين [4].

وخلاصة ما سبق ذكره نستنتج أنّ الصراع الدائم حول مجالات النفوذ وبسط السيطرة على تركة الدولة الموحدية، غيّب الحكمة والرأي السديد في كثير من الأوقات ما تسبب في صدامات عسكرية بين الطرفين، حالت دون التوصل إلى اتفاق دائم حول مسألة الحدود، فضلا عن الولاء من طرف القبائل العربية والبربرية أيضًا؛ حيث استغل كل طرف قوته المادية والعسكرية في استمالة المؤيدين لضربهم بالمعارضين؛ وما كان السلم المؤقت سوى مسعى حتمي ربحا للوقت في إعادة تنظيم الجيش وهيكلته وتدارك الخسائر بإعادة إنتاج المحاربين وعتادهم.

[1] – مجهول، زهر البستان، ج2، ص140.
[2] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص87.
[3] – مجهول، زهر البستان، ج2، ص165.
[4] – مجهول، المصدر نفسه، ج2، ص157.

الفصل الثالث:

أثر الصراع على عمران مدينة تلمسان "بحث في ثنائية الخراب والتعمير"

أولاً– العمارة المدنية

أ– خراب عمران تلمسان

ب– تحطيم مدينة وجدة

ج– بناء مدينة المنصورة

ثالثا– العمارة الدينية

أ– المساجد

ب– المدارس

ثالثًا– العمارة العسكرية

أ– بناء الأسوار

ب– بناء القلاع

ج– بناء الأبواب

نبحث في هذا الفصل عن أثر الصراع الزياني المريني على عمران مدينة تلمسان وما جاورها، إذ لا يختلف اثنان عن أنّ العلاقات المتوترة في جل الأوقات وعلى مدار الثلاثة قرون تقريبا خلّفت أثرا واضح المعالم على البنى السياسية والاقتصادية وكذا الاجتماعية والثقافية إلى جانب العمران، هذا الأخير الذي تباين أثره بتباين حدة الصراع من عدمه فمن جهة شهدت تلمسان طفرة عمرانية شارك فيها بنو مرين بطريقة غير مباشرة إلى جانب الزيانيين الذين كانوا يبحثون عن مخارج لتأمين واستدامة ملكهم، ومن جهة أخرى تقلص عمران المدينة وتأثرت معالمه جراء كثرة الحروب، وما بين ثنائية الخراب والتعمير نحاول رصد أهم الخصائص العمرانية لمدينة تلمسان، أخذاً بالتقسيم المتعارف عليه في الأوساط البحثية.

أولاً– العمارة المدنية:

1(خراب عمران تلمسان:

تعرض عمران مدينة تلمسان في عهد السلطان أبي يوسف الذي غزاها اكثر من ست مرات (6) إلى كثير من الدمار والتخريب، ففي الحصار الأول سنة 698هـ/1298م انتهج المرينيون سياسة الأرض المحروقة بإفساد المزارع وتحطيم القرى ونسف الآبار وتخريب العمران ونهب الأموال؛ ورغم كل ذلك امتنعت عنه المدينة وفشل في اقتحامها وعاد إلى مدينة فاس[1].

وتوالى الخراب على مدينة تلمسان بعد أن اكتسحها السلطان أبو سعيد عثمان المريني سنة 714هـ/1314م، لأنها آوت الثوار من بني عمومة المرينيين، ما دفع أبو سعيد إلى اكتساح تلمسان "وغلب إلى معاقلها وسائر ضواحيها فحطمها حطما ونسف جهتها نسفًا"[2]؛ وشهدت مدينة تيكلات إحدى الثغور الزيانية سنة 732هـ/1331م خرابا عمرانياً ونهبا للأقوات وتحطيم الزرع[3] .

[1] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 456.

[2] – ابن خلدون، المصدر نفسه، نفس الجزء، ص ص 504-505.

[3] – نفسه، ص 527-528.

قام السلطان المريني أبو العباس سنة 785هـ/1383م باقتحام تلمسان هدم أسوارها وقصور السلطان الزياني[1] ؛ ردا على ما قام به أبي حمو موسى الثاني بقصر ونزمار بن عريف بحصن تاوريرت وقصر مرادة إثر حملته على مجالات بني مرين.

2(تحطيم مدينة وجدة:

يؤكد صاحب كتاب الذخيرة السنية عند سرده لوقائع معركة وادي إسلي سنة 670هـ/1271م أنّ مدينة وجدة كانت تابعة سياسيا إلى تلمسان وقد تعرضت للهدم من قبل المرينين في عهد السلطان يغمراسن كما يوضحه القول الآتي: "واشتد القتال بينهما وعظمت الأهوال فرأى يغمراسن ما لا طاقة له به، ولا سبيل له بلقائه، فقد قتل ولده فارس ففر منهزما جريحا في شرذمة قليلة من عشيرته وقرابته وانحصر بتلمسان، فارتحل أمير المسلمين أبو يوسف من الغد في إثره، فوصل مدينة وجدة فوقف عليها حتى هدمت وعفى رسمها وجعل عاليها سافلها، ولم يبق لها رسما وتركها قاعا صفصفا وارتحل إلى تلمسان فنزل بظاهرها وأدار عساكره بأسوارها وشرع في قتالها... ووصل إليه وهو محاصر تلمسان أمير بني توجين صاحب بلاد ونشريس أبو زيان محمد بن عبد القوي التجيني في جيش كثيف في قبائل توجين... فاشتد الحصار على يغمراسن...وضيّقت قبائل توجين بتلمسان لأخذ ثأرهم من أميرها، فقطعوا الثمار ونسفوا الآبار وخربوا الربوع، وأفسدوا الزرع، ولم يدعوا بتلك الجهات قوت يوم"[2].

إن إعدام الأشجار المثمرة وتحطيم الموارد المائية مؤشر دال على سياسة الإجلاء القسري أو التهجير بعبارة أخرى للساكنة من أراضيهم ومواطنهم، وليس أدل على ذلك من مدينة وجدة التي جعل عاليها أسفلها ومحي رسمها كما ورد في النص السابق، وهو من مؤشرات الخراب.

3(بناء مدينة المنصورة:

يرجع بناء هذه المدينة إلى أيام الحصار الطويل الذي ضربه السلطان المريني أبي يعقوب يوسف بداية من سنة 698هـ/1299م حيث كان يصّر على دخول مدينة تلمسان وإسقاط ملك بني عبد الواد منها وجعلها ولاية تابعة للدولة المرينية، وبعد أن امتنعت عليه لم يجد بُدا من المرابطة خارجها، ثمّ اهتدى إلى بناء مدينة

[1] – السلاوي، المصدر السابق، ج3، ص 202/ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص190.

[2] – مؤلف مجهول، زهر البستان، ص ص 149-151.

حذاءها سماها "المنصورة" تيمنا بالنصر العاجل، فاتخذّ لنفسه قصراً ومسجداً وأمر النّاس باتخاذ الدور والمساكن، فابتنوا الدور الواسعة والمنازل الرحيبة والقصور الأنيقة[1].

أصبحت المنصورة حاضرة من حواضر المغرب الإسلامي قصدها النّاس من كل مكان ونص يحي بن خلدون يوضح ذلك: "وصيّرها مصرا من أعظم الأمصار والمدن وأحفلها، اتساع خطه وكثرة عمرانها ونفاق أسواق واحتفال بناء... وأمر باتخاذ الحمامات والخانات والمارستان، وابتنى بها مسجدا جامعا وشيّد له مئذنة رفيعة"[2].

وفيما يأتي من المباحث سنتطرق إلى عمران المدينة حفاظا على التقسيم المنهجي للبحث.

[1] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص209.

[2] – المصدر نفسه، نفس الجزء، نفس الصفحة.

ثانياً– العمارة الدينية:

1(المساجد: كان للتواجد المريني بالمغرب الأوسط أثر على المستوى العمارة الدينية لمدينة تلمسان حيث خلّف بنو مرين ثلاثة (3) مساجد كانت مركز استقطاب للعلماء وهي:

أ– مسجد المنصورة: بني بأمر من السلطان المريني أبي يعقوب بن عبد الحق، وذلك سنة 702هـ/1302م، بالتزامن مع بناء مدينة المنصورة، ويبلغ طول مئذنته 38 مترا، وتوجد لوحة أعلى مدخل هذه المئذنة منقوشة نشرها بروسلار جاء فيها: "الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين أمر ببناء هذا الجامع المبارك أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين المرحوم أبو يعقوب بن عبد الحق رحمه الله"، ومن رواية ابن خلدون نستشّف بأنّ تاريخ المسجد ومئذنته كانا في وقت واحد؛ وقد بني هذا المسجد من الطوب المدكوك على مساحة تقدر ب 5600م2 وله 13 باباً1 (.الملحق رقم 02.01)

ب– مسجد سيدي أبي مدين: شيّده السلطان أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني سنة 739هـ/1339م بقرية العباد، وأعطاه اسم ضريح الولي الصالح أبي مديين شعيب بن الحسن أحد متصوفي الغرب الإسلامي والمتوفى سنة 594هـ/1198م[2].

أشرف على بنائه أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق عمّ ابن مرزوق الجد صاحب كتاب المسند؛ وسقف هذا المسجد منضبط الأشكال له باب مصنوع من البرونز ذي المصراعين، ومحرابه وقبّته وزخرفة جدرانه وكذا أقواسه وصحنه وقاعة الصلاة متقنة الصنع ومحكمة التهيئة[3] (الملحق رقم 04.03)

ج– مسجد سيدي الحلوي: تمّ تأسيس هذا المسجد بأمر من السلطان المريني أبي عنان فارس سنة 754هـ/1353م كما ينص على ذلك النقش التأسيسي الذي يعلو واجهة المدخل الرئيسي للمسجد وفيما يلي نصّه:" الحمد لله وحده أمر بتشييد هذا الجامع المبارك مولانا السلطان أبو عنان فارس (ابن) مولانا السلطان أبي الحسن علي بن مولانا السلطان أبي عثمان بن مولانا أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق أيّده الله ونصره عام أربع وخمسين وسبع مائة"[4]. (الملحق رقم 05، 06)

---

[1] – صالح بن قربة، **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر**، دار القصبة، الجزائر، (د،ط)، 2007م، ص ص115-116.

[2] – التنسي، المصدر السابق، ص145-146.

3– ابن مرزوق، المصدر السابق، ص ص 403- 404

[4] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص148.

وقد شيّده تخليداً لذكرى وفاة العالم والمتصوف الشيخ الولي أبو عبد الله الشوذي الإشبيلي المعروف بالحلوي نزيل تلمسان المتوفى سنة 737هـ/1337م[1].

وهذا المسجد يكاد يكون نسخة مطابقة لمسجد سيدي أبي مدين فله مثله بيت صلاة مكونة من خمس بلاطات عمودية على جدار المحراب، وصحن مربع ومئذنة موضوعة في الزاوية الشمالية الغربية، ومدخل مزخرف ولا يختلف عنه إلاّ في بعض العناصر المعمارية[2].

وصفه ابن الحاج النمري كاتب السلطان أبي عنان قائلا: "وكم أبقى (يقصد أبي عنان) بتلمسان من آثار حسان ومصانع يعجز عن وصفها كل لسان، ولا كجامع الخطبة الأعظم الذي أمر باختطاطه في حضيض البيت الذي فيه ضريح الشيخ الصالح أبي عبد الله الشوذي المعروف بالحلوي رضي الله عنه وهو أجمل الجوامع قد أحكمت فيه أنواع الصنائع، وأبدى الاحتفال به ما شاء من البدائع"[3]

2(المدارس:

أ- مدرسة أبي مدين بالعبّاد: قام بتشييدها السلطان أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني عندما استولى على تلمسان سنة 737هـ/1337م بقرية العباد، فوق ربوة مطلّة على تلمسان إلى جانب روضة أبي مدين الغوث سنة 747هـ/1347م أي بعد إنشائه للمسجد بثماني سنوات، وقد أشار إلى ذلك ابن مرزوق بقوله: "...وبالعباد ظاهر تلمسان وحذاء الجامع...أنشأ مدرسة وبالجزائر مدارس مختلفة الأوضاع بحسب اختلاف البلدان..."[4].

وقد سميت هذه المدرسة أيضا باسم المدرسة الخلدونية، حيث أطلقت عليها هذه التسمية في وقت متأخر ربما بسبب ما أنجبته من فطاحل العلماء كالعلامة عبد الرحمن بن خلدون الذي درس بين جدرانها، وقد ظلت هذه المدرسة قائمة تصارع عاديات الزمن بالرغم من أنّ الكثير من زخرفتها الأصلية اندثرت بفعل الترميم والاصلاحات التي أدخلت عليها على مر العصور فأفقدتها كثيرا من أصالتها[5].

---

[1] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص127-128.

[2] – هوارية بكاي، **العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا**، مذكرة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2007-2008م،ص247.

[3] – عبد العزيز لعرج، **المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية**، أطروحة دكتوراه، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 1998-1999م، ص237.

[4] – ابن مرزوق، المصدر السابق، ص401 وما بعدها.

[5] – عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص ص317-318.

وتعد هذه المدرسة أجمل مدرسة عرفت بالمغرب الأوسط، تمتاز بزخرفتها وفنّها المعماري ذي الأقواس المنكسرة والآجر المدهون باللون الأخضر، ويوجد بفنائها صهريج مزخرف وفيه صحن دائري من الرخام مخصص للشرب والوضوء شيّد أمام قاعة كبيرة للمحاضرات وإلقاء الدروس[1]، وهي تضم طابقين: الطابق السفلي يحتوي على عشر حجرات والطابق العلوي يتضمن ثماني حجرات، كانت مخصصة لطلاب العلم الداخليين أي الغرباء والفقراء، كما كانت توجد بالمدرسة حجرات أخرى عند المدخل يتضّح أنّها كانت مخصصة لتخزين المواد الغذائية وأدوات التنظيف وتحضير الطعام[2]. (الملحق رقم 07)

ب- مدرسة سيدي الحلوي: أسست هذه المدرسة من قبل السلطان المريني أبي عنان فارس بعد خمس سنوات من بناء أبي الحسن لمدرسة العّباد، والذي بم يكن أقل من والده في مجال البناء والتعمير حيث حذا حذوه بعد استيلائه على تلمسان سنة 754هـ/1454م فاختار لها موقعا منحدرا يشغله حي سكني، بالقرب من ضريح الولي الصالح أبي عبد الله الشوذي الإشبيلي الملقب بالحلوي، الذي يقع شمال المدينة حيث يوجد المسجد [3].

وبهذا الحي شيد أبو عنان مجموعة مبان تخليدا لذكرى العالم الجليل سيدي الحلوي وتتكون هذه المجموعة من مسجد ومدرسة وزاوية وضريح [4]. والجدير بالذكر أنّ هذه المدرسة لم تنل شهرة واسعة مقارنة بالمدارس الأخرى [5].

[1] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص143.

[2] – عبد العزيز فيلالي، المرجع، نفسه، نفس الجزء، نفس الصفحة.

[3] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص127-128.

[4] – هوارية بكاي، المرجع السابق، ص 249.

[5] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص128.

ثالثًا– العمارة العسكرية:

أولًا– التحصينات العسكرية العمرانية لمدينة تلمسان:

كان للحروب المتوالية على تلمسان من قبل المرينيين الحافز الذي دفع سلاطين بني عبد الواد إلى تحصين حاضرة ملكهم بناء على وصية جدهم يغمراسن، فاتخذوا كل ما أتيح لهم في تلك الفترة من أجل حماية أنفسهم وأملاكهم من الغارات المرينية، وهو ما سنوضحه على التوالي:

1(بناء الأسوار: أحيطت مدينة تلمسان بأسوار متينة وشاهقة، وقد بلغ عددها السبعة (7) أسوار تفصل بينها مسافات صغيرة[1]. وقد كان للرحالة العبدري زيارة إلى المدينة في عهد السلطان أبي سعيد عثمان وقد أثنى على سورها بالمتانة والصحة[2] .

2(بناء الأبراج: تنشأ للمراقبة والحراسة الليلية بالأخص وهي متفرقة في مدينة تلمسان:

أ– برج القشاشين: بني هذا البرج على ضفة واد متشكانة، وأنشئت له طريق مغطاة بالأقواس تربط البرج بالمدينة[3].

ب– برج الطاحونة: بني جنوب المدينة باتجاه هضبة لالة ستي لحماية الجهة الجنوبية ومراقبتها من غارات الأعداء، فضلا عن حماية الطاحونة التي كانت تزود سكان تلمسان بحاجتهم من الدقيق.

ج– برج إمامة: هو عبارة عن قلعة مرتفعة تقع في الجهة الشمالية الغربية لتلمسان، وهي تعتبر خط الدفاع الأول عن المدينة[4].

3(بناء الأبواب: ذكر ابن خلدون في روايته أنّ لمدينة تلمسان خمسة (5) أبواب، مصفحة بالحديد ولها في جانبيها أبراج صغيرة مربعة الشكل تستخدم لمراقبة الداخلين والخارجين للمدينة[5] وهي كالآتي:

أ– باب العقبة: يقع شرق المدينة وهو باب قديم البناء من آثار الرومان بالمنطقة.

ب– باب سيدي الحلوي: يقع في الشمال كانت له تسميات عديدة منها: باب الزاوية نسبة إلى زاوية سيدي الحلوي[1].

---

[1] – عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق، ص111.

[2] – العبدري، **رحلة العبدري المسماة الرحلة المغربية**، تحقيق أحمد جدو، مطبعة البعث، قسنطينة، (د،ت)، ص27.

[3] – عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق، ص112.

[4] – مختار حساني، **الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية**، دار الهدى، الجزائر، ج4، 2011م، ص193.

[5] – ابن خلدون، المصدر السابق، ص21.

ج- باب القرميدين: أخذ هذا الباب اسمه من المكان الذي تواجد فيه وهو مصنع القرميد والآجر، ويقع في الشمال الغربي للمدينة[2].

د- باب كشوط: يقع جنوب مدينة تلمسان.

هـ- باب الجياد: يقع هو الآخر جنوب المدينة[3].

والجدير بالذكر أنّ ابن خلدون يشير في معرض حديثه عن أسوار مدينة تلمسان أنّها كانت منيعة جدا أمام الحملات المرينية، التي كانت في كل مرة تعمل على تحطيم الزرع وقطع الأشجار لتجويع أهل تلمسان، فضلا عن تحطيم العمائر الواقعة خارج الأسوار[4]؛ غير أنّ الحصار الطويل أتى على العديد من الأسوار فتحطمت واضطّر السلطان أبي حمو موسى الأول إلى إعادة بنائها ورفع هياكلها بعد الحرب[5] .

ثانيًا- التحصينات العسكرية العمرانية لمدينة المنصورة:

أ- سور المنصورة: أمر ببنائه أبي يعقوب المريني حماية لمدينته الجديدة، وتقليدا لباقي حواضر المغرب الإسلامي، وقد بني من الطوب المدكوك بداية من سنة 702هـ/1310م[6]، يبلغ طوله 5 كلم بني جزء منه على مرتفع والجزء الآخر على سهل وهو ما أدى إلى عدم انتظامه، وأصغر أضلاع هذا السور هو الضلع الجنوبي ويقدر سمكه ب1.5 متر وينكمش تدريجيا كلما ارتفع للأعلى، ويبلغ أقصى ارتفاع له 12 متر، فيما يصل في بعض الجهات إلى 9 أمتار؛ كما يحتوي هذا السور في أعلاه على ممشى يقدر بحوالي 0.80م، ويعلو هذا الممشى جدار يبلغ ارتفاعه 0.7م تتخلله شرفات هرمية الشكل أو رباعية يبلغ عرضها حوالي 0.70 متر، كما تقدر المسافة بين فتحات الرمي بحوالي 1 متر[7].

ويذكر السلاوي أنّ المدينة استبحرت في العمران إلى إن خربها الزيانيون عند هلاك السلطان يوسف وارتحال جيوشه عنها[8]، كما ساهم بنو مرين أيضا في خرابها على فترات متباينة من تواجدهم في تلمسان، من خلال إعادة استخدام الأعمدة المرمرية للمدينة ولقصر السلطان بالقصبة في تشييد رواق ضريح المتصوف أبي

---

[1] – الحسن الوزان، المصدر السابق، ص21.

[2] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص113.

[3] – عبد العزيز فيلالي، المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[4] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص165.

[5] – التنسي، المصدر السابق، ص 135.

[6] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص459.

[7] – جورج مارسي، **تلمسان**، تر سعيد دحماني، دار التل للنشر والتوزيع، البليدة، الجزائر، 2004م، ص65.

[8] – السلاوي، المصدر السابق، ص 80.

شعيب الغوث، وجامع سيدي الحلوي الذي بني بأمر من السلطان أبي عنان فارس؛ ثمّ أعاد السلطان أبو الحسن بعث المدينة أو إحيائها وجعلها قاعدة عسكرية مرفوعة الأسوار مزودة بالمجانيق والآلات إلى جانب حفر خندق زيادة في احتماء الجند[1].

ب- الأبراج: يبلغ عدد أبراج مدينة المنصورة حوالي 80 برجا وهي تختلف في شكلها وحجمها حسب أنواعها الموضحة:

ب-1- الأبراج المستطيلة: هي التي شيدتعلى جميع أنحاء السور ما عدا الأركان، حيث أنّها تحتل أواسط الضلاع، وهي أكثر عددا؛ وقد بنيت على مسافات غير منتظمة يبلغ طولها حوالي 12 متراً، وتبرز عن حائط السور بحوالي 3.5 أو 4 متر.

ب-2- الأبراج المربعة: هي التي تحتل الأركان الأربعة للسور، بفوق ارتفاعها الأبراج المستطيلة، وقد قدر طول ضلعها بحوالي 7 أمتار، ولهذه الأبراج فوائد دفاعية بالدرجة الأولى[2].

ج- الأبواب: كان لمدينة ثلاثة ابواب، وهي كالآتي: الباب الشرقي باب الحجاز، الباب الغربي باب فاس، والباب الشمالي باب هنين، غير أنّ تغافل عن ذكر اسم الباب الجنوبي وربما يعود ذلك إلى عدم وجود طريق تجاري يربط المنصورة بباقي الأمصار[3].

ج-1- البابان الشمالي والجنوبي: يشبهان بعضهما البعض إلى حد كبير، حيث أنّ كلاهما مدعم ببرجين بارزين إلى الخارج ب 5 أمتار، وتقدر المسافة بين البرجين الذين يستند عليهما البابين الشمالي والجنوبي ب 12.50 متراً، أما بالنسبة للمداخل فهي معقودة بعقد حدودي منخفض نوعا ما ب 5 أمتار[4].

ج-2- الباب الغربي: هو مربع الشكل يستند إلى برجين بارزين إلى الخارج وهو أكبر حجما.

ج-3- الباب الشرقي: يكتنفه برجان بارزان إلى داخل الأسوار وليس إلى الخارج مثل باقي الأبواب[5].

[1] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 534-535

[2] – عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص171.

[3] – جورج مارسي، المرجع السابق، ص62.

[4] – ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص48.

[5] – جورج مارسي، المرجع السابق، ص67.

يستنتج مما سبق ذكره أنّ عمران مدينة تلمسان احتكم إلى ثنائية الخراب والتعمير، فالصراع لم يكن كله سلبيا على المنطقة كما أنّه لم يكن كذلك إيجابيا بصفة مطلقة، حيث تراوحت العلاقات ما بين الشدة والتعصب وما بين اللين والتهدئة.

وخلاصة القول أيضاً أنّ مدينة تلمسان كابدت الأمرين في سبيل حفاظ بني زيان على ملك أجدادهم في المنطقة، حيث كانت الحروب سجالاً كرّست معنى الغنهجية والتعالي لكل من بني زيان وبني مرين من أجل زعامة قبيلة زناتة ووراثة ملك الدولة الموحدية بعد أن أصبحت حدودها مشاعا بين زعماء المغرب الإسلامي وأنّ التملك والولاء كان من نصيب الأقوى عسكريًا ومادياً.

خاتمة

إنّ المتتبع لتاريخ العلاقات السياسية بين الدولتين الزيانية والمرينية يدرك مدى تأجج الأوضاع واحتقانها بفعل كثرة الحروب السجال بينهما حول الشرعية في خلافة الدولة الموحدية، ومن هذا المنطلق خرجنا باستنتاجات عديدة سنوضحها فيما يلي:

1- تمكن بنو زيان من بناء صرح دولتهم قبيل الإعلان النهائي عن سقوط الدولة الموحدية، حيث حكموا المغرب الأوسط تحت زعامة الموحدين وخاضوا الحروب باسمهم ضدّ كل من المرينيين والحفصيين، فكانوا السباقين لخوض غمار السياسة ودهاليزها بالمغرب الأوسط.

2- كانت بلاد المغرب الأوسط مسرحاً لصراع السلطة والنفوذ ما بعد الموحدين، حتى غدت حدوده مطاطية خاضعة لمنطق القوة العسكرية والولاءات المستحكمة من طرف القبائل العربية والبربرية على حد سواء للجارتين الشرقية (الحفصيين) والغربية (المرينيين)؛ وكل ذلك ساهم بشكل مباشر في تكريس حالة اللااستقرار وزعزعة ملك الزيانيين واندراسه.

3- شكل اختراق المرينيين لمجال المغرب الأقصى خطرا على الموحدين حيث زاحموهم أراضي ملكهم مستغلين في ذلك حالة الضعف التي طالتهم، وهو الأمر الذي جعلهم يبادرون إلى غزو الغرب الإسلامي والسعي لافتكاك ولاء القبائل العربية والبربرية، وكذا إزعاج الزيانيين والحفصيين بحروب طويلة الأمد كثيرة التكلفة على أطراف النزاع باسم "الشرعية في الحكم"؛ كما أنّ صراع الزعامة واستفراد الوزراء بالسلطة دون الخلفاء كلّف الدولة المرينية مجالاتها ومناطق نفوذها ما عجّل بضعفها وانمحاء رسمها.

4- نستنتج من كرونولوجيا هذا الصراع تغييب المصادر التاريخية لتفاصيل الوقائع العسكرية ومجرياتها، حيث أنّ ما قدمته لنا كان عبارة عن سرد عام للأحداث وقد يعود ذلك إلى طول فترة الصراع بين المغربين الأوسط والأدنى مما أدى إلى إسقاط إحداثيات المعارك وخسائرها المادية والبشرية بالدرجة الأولى.

5- كان السلم المؤقت سوى مسعى حتمي ربحا للوقت في إعادة تنظيم الجيش وهيكلته وتدارك الخسائر بإعادة إنتاج المحاربين وعتادهم.

6- استغل كل من المرينيين والزيانيين فترات الاضطرابات الأسرية والانشقاقات الداخلية ما بين الآباء وأبنائهم والإخوة وأشقائهم في تغليب مصلحة طرف على حساب الطرف الآخر عن طريق الاستمالة والحماية وتكريس الأموال في سبيل نيل الزعامة.

7- لم تكن حدود الدولتين ثابتة بل تأرجحت ما بين الاتساع تارة وبين التقلص تارة أخرى، ويرجع ذلك إلى القوة العسكرية والاقتصادية إلى جانب الاستقرار السياسي الداخلي الذي كان يعزز دوما من مكانة الدولتين على مدار الثلاثة قرون من الحكم تقريباً.

8- ساهم العدوان المريني على المغرب الأوسط في شقه الإيجابي في تعمير مدينة تلمسان نظرا لاهتمام السلاطين في تلك الفترة وتنافسهم في استمالة العلماء والعناية بالعلم بصفة عامة، حيث أنشأت المؤسسات الثقافية والصروح الدينية الأمر الذي انعكس بصفة إيجابية على المنظومة الفكرية بالمغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط على وجه الخصوص.

9- تعززت التحصينات العمرانية العسكرية بكل من تلمسان ومدينة المنصورة وامتازت عمارتهما بالصلابة والقوة، مع وجود مسحة جمالية لا تزال شاهدة على رونق ذلك العصر وارتفاع درجة الذوق لدى حرفيي تلك الحقبة.

ملاحق

الملحق رقم (01): مسجد المنصورة الواجهة الشمالية

الملحق رقم (02): مئذنة المنصورة، البوابة

الملحق رق (03): مسجد سيدي ابي مدين، المئذنة

الملحق رقم(04)مسجد سيدي ابي مدين، الباب الرئيسي

الملحق رقم (05) مسجد سيدي الحلوى، المئذنة

الملحق رقم (06): مسجد سيدي الحلوى، البوابة

الملحق رقم (07) مدرسة العباد الصحن في الوقت الحاضر

الفهارس العامة

فهرس الأعلام

حرف الألف

إبراهيم بن أبي تاشفين: 40
إبراهيم بن إسماعيل: 16
ابن عطو: 34
أبو إسحاق بن أبي يحي بن أبي زكريا: 20
أبو الحسن المريني: 19، 20، 27، 36، 37، 38، 51، 52، 53
أبو الحسن المريني: 27، 36، 38
أبو العباس العاقل: 20
أبو العباس المريني: 40، 41
أبو بكر بن عبد الحق (أبو يحي): 24، 25، 30، 31
أبو بكر بن غازي: 28
أبو ثابت: 19
أبو حمو موسى الأول: 20، 36، 55
أبو حمو موسى الثاني: 38، 39، 40، 41، 44، 46، 49، 68
أبو زيد البياسي: 8
أبو سالم: 39
أبو سعيد المريني: 37
أبو سعيد: 19
أبو عامر: 34
أبو عنان فارس بن يغمراسن: 32
أبو عنان: 20، 27، 38، 51، 52، 53، 56
أبو يحي بن أبي بكر بن عبد الحق المريني: 30، 31
أبو يعلى بن خلاص البلنسي: 11
أبي زكريا: 9، 20
أبي محمد بن الشيخ بن أبي حفص: 9
أبي محمد عبد الواحد: 20
أبي مدين: 51، 52
أحمد بن المعز: 41

إدريس أبو العلى بن أبي يوسف يعقوب المنصور (المأمون): 8
إدريس الأكبر: 14
إدريس المأمون (أبو العلاء): 8، 12، 16، 17، 24.
إدريس بن عبد المؤمن (أبو دبوس): 26، 27، 31
الأعذر بن العافية: 22

حرف الباء

بروسلار: 51
بكاي هوارية: 2

حرف التاء

التنسي: 15

حرف الراء

الرشيد: 10

حرف الزاي

ابن أبي زرع الفاسي : 4
زيدان بن زيان (أبو عزة): 17

حرف السين

السعيد المأمون: 24، 25
السعيد بن عبد العزيز: 28، 38
سلاوي: 55
سيدي الحلوي: 51، 52، 53، 54، 56

حرف العين

عبد الحق الثالث: 28
عبد الرحمن الأول (أبو تاشفين): 19، 20، 21، 36، 37، 38، 39، 40، 41
عبد العزيز المريني: 39، 40
عبد العزيز بن أحمد (أبو فارس): 20
عبد الله البياسي: 8
عبد الله بن زكريا الهزرجي: 11
عبد الله بن يعقوب المنصور (العادل): 8

عبد المؤمن بن علي: 15، 16، 23.
عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن (أبو محمد): 8
عثمان بن عبد الحق (أبو سعيد): 11،14، 16، 24، 36، 43، 48، 54.
عثمان بن يغمراسن (أبو سعيد): 18، 34، 35، 43
عثمان بن يوسف: 17
عذاري: 4، 9، 12
عمر بن أبي بكر: 26

حرف الفاء

فيلالي عبد العزيز: 2

حرف الميم

محمد الناصر: 7
محمد بن أبي تاشفين (ابن الحمراء): 21
محمد بن عبد الحق (أبو معرف): 24
محمد بن عثمان (أبو زيان): 20، 34، 36، 39، 41، 44
محمد بن عثمان: 28
محمد بن مردنيش: 9
المرتضى الموحدي: 25، 26، 30
المستنصر: 9
مسعود بن حميدان الخلطي:10

حرف الواو

ابن وقاريط: 10
ونزمار بن عريف: 49

حرف الياء

ابن ياوجي: 11
يحي بن الناصر: 8، 10
يحي بن خلدون: 14، 15، 50.
يحي بن عطية: 36
يعيش بن يعقوب المريني: 36
يوسف الغفاري التلمساني: 17.
يعقوب بن عبد الحق (أبو يوسف): 25، 26، 27، 31، 32، 33، 34، 35، 43
يغمراسن بن زيان: 15، 17، 18، 25، 27، 30، 32، 33، 34، 43.

يوسف بن أبي حمو (أبو الحجاج): 41
يوسف بن الحسن: 36
يوسف بن يزناسن: 31

فهرس الأماكن

حرف الألف

الأرك: 23

أغمات: 10

أم الرجلين: 26

الأندلس: 4، 7، 8، 9، 12، 21، 23، 27، 32، 33، 43.

أنكاد: 43

إشبيلية: 8

إفريقية: 8

أنفا: 26

إيسلي: 31، 32، 43

حرف الباء

باجة: 8

برشك: 18، 34

بلنسية: 8

بجاية: 18، 19، 23، 36، 37، 44

بطليوس: 8

بونة: 19

حرف التاء

تازا: 25، 40، 41، 36

تامزدكت: 34

تلمسان: 1، 2، 3، 8، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 23، 31، 32، 34، 43، 41، 42، 45، 46، 48، 49، 51، 52، 53، 54، 55، 57، 60.

تنس: 18

تاوريرت: 37، 49

تينملل: 15، 23، 27

تالموت: 3

تامسنا: 26

تونس: 19، 37

تيكلات: 48

حرف الجيم

جرسيف: 39

جزائر بني مزغنة: 19

الجريد: 8

جيان: 8

حرف الحاء

حصن العقاب: 2، 4، 7، 23

حصن بكر: 36

حصن تاحجموت: 40

حرف الدال

دانية: 8 دبدو: 39 درعة: 26، 31

حرف الراء

رباط الفتح: 33 ريكة: 10

حرف الزاي

الزاب: 15، 22، 23، 40

حرف السين

سبتة: 10، 11ن 12، 41 سجلماسة: 1، 11، 15، 18، 22، 26، 31، 33

حرف الشين

شاطبة: 8 شالة: 37 شرسال: 34 شقر: 8 الشلف: 16، 18، 35

حرف الغين

غرناطة: 8، 20، 21

حرف الفاء

فاس: 4ن 7، 10، 11، 12، 20، 24، 25، 27، 30، 31، 32، 34، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 46، 48، 56

فحص مسون: 23 فكيك: 22، 30

حرف القاف

قرطبة: 8 قسنطينة: 19، 36، 37 القلعة: 23 القيروان: 19

حرف اللام

لوشة: 8

حرف الميم

مازونة: 34، مالقة: 8 المدية: 18، 35، 36، 40

مراكش: 8، 9، 10، 12، 16، 17، 18، 24، 25، 26، 27، 31، 34، 40

مردة: 8 مرسية: 8، 9 المرية: 8 مستغانم: 34

المغرب الأقصى: 1، 3، 4، 8ن 16، 22ن 24، 25، 27، 30، 31، 33، 44، 59

المغرب الأوسط: 1ن 2، 4، 15، 16، 20، 21، 22، 32، 36، 37، 38، 40، 41، 44، 51، 53، 59، 60

مكناسة: 11، 12، 25 ملوية: 22، 26، 39 مليانة: 18، 39، 40

منداس: 15 المنصورة: 3، 34، 35، 38، 28، 49، 50، 51، 55، 56، 60، 62

حرف النون

ندرومة: 17، 34، 37 نهر أم الربيع: 26

حرف الهاء

هزرجة: 10 هضبة لالة ستي: 54 هنين: 34، 37، 56

حرف الواو

واد متشكانة: 54 وادي التافنة: 33 وادي غفو: 27

وجدة: 31، 32، 36، 37، 49 وداي تلاغ: 27، 31، 32، 43

الونشريس: 18، 34، 35 وهران: 17، 18، 34، 35، 39، 40، 45

فهرس الشعوب والقبائل

حرف الألف

بنو الأحمر: 9، 32، 33، 34، 41، 43

حرف التاء

بنو توجين: 18، 19، 33، 36، 43، 44، 49

حرف الحاء

بني حفص: 36 بنو حمامة: 22، 23، 24

حرف الراء

بنو راشد: 17

حرف الزاي

زغبة: 39

زناتة: 8، 12، 14، 16، 17، 22، 23، 27، 30، 38، 39، 41، 42

بنو زيان (بنو عبد الواد): 1، 15،14، 16، 17، 23، 25، 27،26، 30، 32، 34، 38، 41، 43، 49، 54، 59.

حرف السين

بلاد السوس: 10، 11

سويد: 39

حرف العين

عرب الخلط: 10 عرب رياح: 12، 24 بنو عسكر: 22، 24

حرف الغين

بنو غانية: 9، 16

حرف الكاف

كتامة: 26

حرف الميم

بنو مرين: 1، 3، 11، 15، 16، 22، 24، 25، 26، 27، 30، 31، 32، 33، 34، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 49، 57

بنو مطهر: 17

المعقل: 11، 39، 40

مغراوة: 18، 34، 35، 36، 43

حرف الهاء

بنو هود: 8

حرف الواو

بنو ومانو: 16

الوطاسيين: 28

حرف الياء

بني يدلتين: 36

بنو يلومي: 16

الوراقية

أولاً- قائمة المصادر:

1- ابن الأحمر أبو الوليد اسماعيل (ت810هـ/1408م)، **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تحقيق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1421هـ/2001م

2- ــــــــــــ، **روضة النسرين في دولة بني مرين**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، مطبوعات القصر الملكي، الرباط، المغرب، 1382هـ/1962م

3- الإدريسي أبو عبد الله الشريف (من أهل القرن السادس الهجري)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1989م

4- البكري أبو عبيد (ت487هـ/1094م)، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د،ت).

5- التنسي أبو عبد الله بن عبد الجليل (ت899هـ/1493م)، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، تحقيق محمود بوعياد، دار موفم للنشر، الجزائر، 2011م.

6- أبو حمو موسى الزياني (ت791هـ/1389م)، **واسطة السلوك في سياسة الملوك**، تحقيق وتعليق محمود بترعة، دار النعمان للطباعة والنشر، دار الشيماء، الجزائر، 2012م.

7- الحموي ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله (ت622أو 623هـ/1225 أو1226م)، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت).

8- الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم (توفي أواخر القرن 9هـ/15م) ، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م

9- ابن الخطيب لسان الدين (ت776هـ/1374م)، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، دراسة وتحقيق محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2009م.

10- ابن خلدون عبد الرحمن (ت808هـ/1406م)، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1421هـ/2000م.

11- ابن خلدون أبو زكريا يحي (ت780هـ/1378م) **بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد**، تحقيق عبد الحميد حاجيات، دار الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م.

12- ابن أبي زرع علي بن عبد الله الفاسي(ت728هـ/1328م)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

13- ـــــــــــــ، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، دار المنصور للطباعة، المغرب، (د،ط)، 1972.

14- الزركشي أبو عبد الله (كان حيا حتى عام 894هـ/1488م)، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق وتعليق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966م.

15- ابن سماك العاملي (كان حيا في الربع الأول من القرن 9هـ/15م)، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2010م.

16- العبدري، **رحلة العبدري المسماة الرحلة المغربية**، تحقيق أحمد جدو، مطبعة البعث، قسنطينة، (د،ت)

17- ابن عذاري المراكشي (كان حيا سنة 712هـ/1312م)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1983م

18- أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، مكتبة المثنى، بغداد، (د،ط)، 1968م.

19- ابن القاضي المكناسي أحمد (ت1025هـ/1615م)، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، 1973.

20- مجهول (من أهل القرن الثامن الهجري)، **زهر البستان في دولة بني زيان**، تحقيق وتقديم عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.

21- المراكشي عبد الواحد (ت625هـ/1228م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، شرح واعتناء صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ/2006م.

22- المقري أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني (ت1014هـ/1631م)، **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، (د،د)، القاهرة، (د،ط)، 1940م.

23- ابن مرزوق الخطيب أبو عبد الله (ت781هـ/1379م)، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

24- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي، **الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى**، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، 1997م.

25- الوزان الحسن بن محمد الفاسي، **وصف إفريقيا**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1983م.

26- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي (ت914هـ/158م)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، أخرجه جماعة من الفقهاء، إشراف محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1401هـ/1981م.

ثانيا– قائمة المراجع:

1- بن قربة صالح، **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر**، دار القصبة، الجزائر، (د،ط)، 2007م.

2- بوعزيز يحي، **تلمسان عاصمة المغرب الأوسط**، منشورات تلمسان عاصمة الثقافة الدينية، الجزائر، (د،ت).

3- الجيلالي عبد الرحمن ، **تاريخ الجزائر العام**، مكتبة الشركة الوطنية، الجزائر، (د،ط)، 1965م

4- حاجيات عبد الحميد، **أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د،ط)، 1982م

5- حساني مختار، **الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية**، دار الهدى، الجزائر، ج4، 2011م

6- ــــــــــ، **تاريخ الدولة الزيانية– الأحوال السياسية**، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009م

7- الطمار محمد، **تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د،ط)، 1984م

8- عنان محمد عبد الله، **دولة الإسلام في الأندلس (العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997م.

9- فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية وعمرانية واجتماعية وثقافية)**، المؤسسة الوطنية للفنون الطبيعية، الجزائر، (د،ط)، 2002م.

10- القرقوطي محمد الهادي ، **جهاد الموحدين بالأندلس**، دار هومة، الجزائر، 2005م.

11- مارسي جورج، **تلمسان**، تر سعيد دحماني، دار التل للنشر والتوزيع، البليدة، الجزائر، 2004م.

12- المدني أحمد توفيق ، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792م)**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، (د،ط)، 2010م.

13- موسى عز الدين، **دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي**، دار الشروق، (د،م)، ط1، 1983م.

14- مؤنس حسين، **تاريخ المغرب وحضارته**، دار العصر الحديث، بيروت، لبنان، ط1، 1992م.

15- الناصري أبي رأس، **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، تح محمد غالم، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، (د،ت).

ثالثًا- المجلات:

1- دهينة عطاء الله، **وصية يغمراسن**، مجلة التاريخ وحضارة المغرب العربي، ع6، 27 جويلية، 1969م، ص ص22-26.

رابعًا- الأطروحات الجامعية:

1- بكاي هوارية، **العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا**، مذكرة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2007-2008م،

2- صديقي عبد الجبار، **سقوط الدولة الموحدية دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات**، مذكرة ماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، إشراف مكيوي محمد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان.

3- لعرج عبد العزيز، **المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية**، أطروحة دكتوراه، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 1998-1999م.

4- مكيوي محمد، **العلاقات السياسية والفكرية المغاربية للدولة الزيانية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول (633هـ-1236م/737هـ-1337م)**، رسالة ماجستير(مرقونة)، جامعة تلمسان، الجزائر، 2007-2008م.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة.....1-5

مدخل: أوضاع الغرب الإسلامي قبيل سقوط الدولة الموحدية.....7-12

الفصل الأول: التاريخ السياسي للدولتين الزيانية والمرينية.....14-28

أولا- الزيانيون: بحث في أصول النشأة وتأسيس الدولة.....14-21

1- الأصل والنسب.....14-15

2- تأسيس الدولة ومجالها الجغرافي.....15-17

3- أطوار الملك.....17-21

أ- طور النشأة والتوسع.....17-19

ب-طور تجديد الملك.....19-20

ج- طور الضعف وانهيار الدولة.....20-21

ثانيا- المرينيون: ماهية النسب وانبعاث الملك.....22-28

1- الأصل والنسب.....22

2- اختراق المجال الموحدي وتأسيس الدولة.....22-25

3- التوسع الجغرافي.....25-27

4- الضعف والسقوط.....27-28

الفصل الثاني: الصراع الزياني المريني من المواجهة إلى المهادنة.....30-46

أولًا- أسباب الصراع وبداياته.....30

ثانيًا- كرونولوجيا الصراع (المواجهات العسكرية).....31-42

1- معركة إيسلي الأولى647هـ/1249م.....31

2- معركة وادي تلاغ666هـ/1267م.....31-32

3- معركة إيسلي الثانية670هـ/1272م.....32-33

4- معركة وادي التافنة678هـ/1280م.....33-34

5- الحصار الطويل698هـ/1299م.....34-35
6- غزوة 714هـ/1314م.....36
7- حصار أبي الحسن المريني735-737هـ/1334-1336م.....36-38
8- غزوة 760هـ/1359م.....38
9- غزوة 761هـ/1360م.....39
10- حركة أبي حمو موسى الثاني للمغرب766هـ/1365م.....39
11- حركة السلطان عبد العزيز المريني على تلمسان722هـ/1322م.....39-40
12- حركة السلطان أبي حمو موسى الثاني إلى تلزا 783هـ/1381م.....40
13- حركة السلطان أبي العباس المريني786هـ/1384م.....41-42
14- سيطرة بني مرين على المغرب الأوسط.....41-42
ثالثًا- الهدنة (السلم المؤقت).....43-46
1- الهدنة الأولى 673هـ/1274م.....43
2- الهدنة الثانية684هـ/1285م.....43
3- الهدنة الثالثة707هـ/1307م.....44
4- الهدنة الرابعة 761هـ/1359م.....44
5- الهدنة الخامسة762هـ/1360م.....45
6- الهدنة السادسة 763هـ/1361م.....46
7- الهدنة السابعة767هـ/1365م.....46
الفصل الثالث: أثر الصراع على عمران مدينة تلمسان "بحث في ثنائية الخراب والتعمير..48-57
أولًا- العملة المدنية.....48-50
1- خراب عمران تلمسان.....48-49
2- تحطيم مدينة وجدة.....49

3- بناء مدينة المنصورة.....49-50

ثانيًا- العملة الدينية.....51-53

1- المساجد.....51-52

أ- مسجد المنصورة.....51

ب-مسجد سيدي أبي مدين.....51

ج- مسجد سيدي الحلوي.....51-52

2- المدارس.....52-53

أ- مدرسة أبي مدين شعيب بالعّباد.....52-53

ب-مدرسة سيدي الحلوي.....53

ثالثًا- العملة العسكرية.....54-57

أولًا: التحصينات العسكرية العمرانية لمدينة تلمسان.....54

1- بناء الأسوار.....54

2- بناء الأبراج.....54

3- بناء الأبواب.....54-55

ثانيًا: التحصينات العسكرية العمرانية لمدينة المنصورة.....55-56

1- سور المنصورة.....55-56

2- الأبراج.....56

3- الأبواب.....56-57

خاتمة.....59-60

الملاحق 61-65

الفهارس العامة.....66-75

الوراقية.....76-80

فهرس.....81-84